

في بلاد الريف

الفضل الاول

في حدائق كنسجتون

جو مكفور يمتزج لونه الرمادي بنور الشمس الساطع فيضيع في ثوبها القاني وهي تهم بان تغطس وراء الافق . برد قارص يتخلل الغضاء وينتشر فيه . اوراق صفراء تنساقط من الاشجار وتنتشر على وجه الغبراء . غدير ذو منظر موحش لا ترى حوله أحداً . مماس من العشب تمتد الى تمثال « سبيك » و « السربنتين » وهي مهجورة لا يكاد يطأها انسان . كل هذه المشاهد جعلت « سكستن بليك » وهو يتنزه في حدائق كنسجتون يشعر بان الشتاء قادم قبل اوانه . فسرّ لانه سيقضى بضعة الاسابيع المقبلة بعيداً عن انجلترا وجوها البارد المتقلب

ولما وصل بليك الى آخر الممشى الواسع خرج من الحدائق الى شارع كنسجتون واتجه نحو نصب البرت . ولكنه لم يكد يسير نحو اثنتي عشرة خطوة حتى رأى سيارة فاخرة تقف بجانبه وتسمع صوتاً معروفاً يناديه . فالتفت فرأى وجهاً يعرفه هو ووجه صديقه القديم السير فرانسيس ترانت وكيل وزارة الخارجية . ففتح السير ترانت باب السيارة وقال له :

ماذا تعمل هنا يا بليك ؟

فجابه بليك : لا شيء

قال : أتتعقب احد اللصوص ؟

قال : كلا وانما انا انتزه ليكون عندي شهية للغداء

قال : أتريد ان تركب معي ؟

فتردد بليك قليلا لانه كان يؤثر المشي على الركوب . ولكنه ركب الى جانب صديقه فاخذت السيارة تجري بهما سريعا . فوضع السير فرانسيس نظارته على عينيه ونظر الى ساعته وقال : اذا لم يكن عندك مانع فسانزلك في ميدان هاملتون وأذهب رأساً الى وزارة الخارجية لاني منتظر رسالة برقية من الهند . وكنت قد ذهبت الى اكسفورد لارى ابني فوجدت ذلك العاق مديونا مرة أخرى وعلي ان احل كيس النقود لاسدد ديونه . ولكن ما العمل ؟ ان الاولاد هم اولاد ويجب أن لا انسى ذلك

فنبسم بليك وقال : ولا انا انسى

قال : انني لم ارك منذ بضعة أشهر . فهل كنت مشغولاً ؟

فاجاب بليك : نعم ... مشغولاً جداً . وأنا في حاجة الى تغيير الهواء . وسأغيره ان

شاء الله بعد مدة قصيرة . فبعد يوم أو يومين اسافر الى مصر

فقال العمر فرنسيس : ما أعظم حظك . أنزهة في البحر المتوسط ؟

فاجاب بليك : شغل ونزهة . فانا ذاهب الآن الى مرسليليا براً ومن هناك اركب البحر

واتوجه الى القاهرة لاحصل على بعض البيانات السرية من وكالة مالية فيها . وذلك لا

يستغرق وقتاً طويلاً

فقال السير فرنسيس : وبعدها تنتهي من ذلك تستقل باخرة وتساfer على النيل للنزهة

فهز بليك رأسه وقال : لن أفعل ذلك في هذه المرة . فقد سافرت في النيل صعوداً ونزولاً

مراراً عديدة ووصلت الى ما بعد دنقلا . أما رحلتي في هذه المرة فلن تستغرق إلا يوماً واحداً

وسمكون « تنكر » معي ونحن عازمان على سياحة طويلة في اسبانيا نبدأ بها من برشلونه التي

سنذهب اليها رأساً من مصر في ٢٥ أكتوبر الحالي أو حوالي ذلك التاريخ ونبقى يوماً واحداً

في تلك المدينة . ثم نطوف بالبلاد على مهل فنصل الى طليطلة في ٣٠ منه . وبعد ما نمكث في

طليطلة بضعة أيام نذهب الى مدريد عاصمة اسبانيا فنقضي فيها اسبوعاً واحداً ومنها نعود الى

هنا عن طريق باريس

فقال السير فرنسيس : انني أحسدك يا بليك فياليتني كنت قادراً على السفر معك لانني في

غاية الاحتياج الى الراحة . ولكن لا سبيل الى ذلك الآن . فان لدي في وزارة الخارجية اموراً

كثيرة تشغل البال . وانت تعلم أن جرائدنا الكبيرة تقذف بالمراسلين الى كل جهة في العالم وهؤلاء

يتعرضون لما لا يعينهم فيقدحون في الحكومات الاجنبية ويزعجونها بما يرسلون الى جرائدهم او

يكتبون عند عودتهم فيخلقون لنا من المشاكل انواعاً . والخطر كل الخطر في استعمال الجدد .

ويمكنني أن اتصور ما ستكون الشكوى القادمة . فان فينياس كينوس سيذهب الى اميركا من

قبل جريدة « صنداى كوميث » ويقابل شيخ هنود الكيكانو الثاثرين ثم يعود بكتاب من

الشيخ الى جلالة الملك يلتبس به منه أن يطلب الى « الشيخ الابيض الكبير المقيم بواشنطن »

ليسمح للقبيلة بان تقطع كل سنة عدداً معلوماً من رؤوس الاهالي

وقد يذهب بول براي من قبل جريدة « القال والقيـل » الاسبوعية الى الصحراء فيدخل

وهو في زي امرأة حرم سلطان الصحراء ويكتب مقاله منسقة عن استياء أولئك السيدات لان زوجهن وسيدهن لا يسمح لهن بان يطلبن فساتين من شارع دو فر بلندن أو من شارع ذه لاييه بباريس لاعتقاده انهن يجب ان يكتفين بالخرز والخلخال

وقد يذهب روبر ركلس من قبيل جريدة « ميمور » اليومية فيوقد نيران الثورة في احدى جمهوريات اميركا الجنوبية ويشرح لجريدته على لسان البرق شدة تأثره وانفعاله حينما كان الرصاص يتساقط حوله كالبرد

ويذهب ترومان ترو عن جريدة « ايفنج ستار » فيزور عصابات كالابريا في معاقلمهم بالجبال ثم يستفز الشعب الانجليزي بما يكتبه في جريدته عما تقاسيه تلك العصابات من مطاردة الجنود الطليانية لها ومنعها من ...

ثم اخذ السير فرسيس يضحك من النكت التي قالها وضحك بليك أيضاً معه . ودخلت بهما السيارة الى زاوية هايد بارك فوقفها السائق في ميدان هاملتون وفتح بليك باب السيارة ونزل منها وهو يشكر السير فرسيس . فقال له هذا : لا حاجة بك الى الشكر وأنا اتنى لك سفراً سعيداً فالى الملتقى . ثم افترقا واخذت السيارة تخترق الشوارع ونسي السير فرسيس ترانت صديقه وأخذ يفكر بما عليه من التبعات العظيمة ولكنه تذكر بعد ذلك كل كلمة قالها له بليك .

الفصل الثاني

كتاب دكس والس

انتهى الفطور في شارع بيكر قبل ميعاده لان اليوم كان يوم السفر فكانت الامتعة حاضرة « وتنكر » واقفا يتأمل في الذكريات القديمة من الاوراق الملصقة على الامتعة

وجلست مسز بارديل في كرسي كأنها منهوكة القوى وقد وضعت يديها في حجرها وربض الكلب بادرو على السجادة مدلياً اذنيه وفي عينيه الكبيرتين علامات الكآبة كأنه أدرك أن سيده والغلام مسافران وانهما ان يأخذه معه .

وكان ساعي البريد قد أحضر قبل هنيةة نحو ستة كتب لسكستون بليك فوقف يقرأها واحداً واحداً حتى اذا انتهى منها وضعها في جيبه واتففت الى صاحبة النزل وقال : لقد عرفت الاوامر فاجتهدى أن تقومي بها

فاجابته : حسنا يا سيدي . سأعطي بادرو كل يوم طعامه قطعة من اللحم وأترك باب الحوش موصداً ولا أدع انساناً يدخل غرفتك أبداً الى غير ذلك مما اوصيتني به . والآن أفانت ذاهب الى أرض الفراعنة ؟ الى البلاد التي لا أعرف لماذا يدعونها بذلك الاسم الرديء . بلاد القمار ؟ أممكنك وأنت هناك أن تأتيني بورقة بردي من قبر توت عنخ آمون ؟

فاجاب بليك : بكل تأكيد يامسر بارديل . لن أتيك بورقة واحدة فقط بل برزمة كبيرة فقالت : وبصورة من صور الملكة كليوباترة التي كانت تضرب على العود وقد خبأت الافعى في صدرها وهي صاعدة في مياه النيل الفضية ومرقس انطونيوس جاث عند قدميها والمظلات القرمزية تظلل رأسها

فقال « تنكر » : أولاً تريدين أيضاً مومياء تضعينها في المطبخ لنذكرك بأحد أزواجك المتوفين ؟

وقال بليك : وتكون رفيقة لك تدفع عنك الوحشة واذا ألبستها ثوب شرطي وخوذته خافها اللصوص وأمنت أنت شرهم ؟

فقالت : وما الذي تعنيه بي وبالشرطي ؟ انك تهينني يا سيدي كما أهانني المستر تنكر بقوله انه كان لي أزواج تشبه المومياء . قد تكون ياسيدي بوليساً سرياً ذا سمعة رديئة وأنا لا أقول انك لست كذلك . لكن السمعة الرديئة هي كالا حسان تبندى بالنفس . فاذا يقول الناس الذين يحترمونك اذا عرفوا انك تنطق بأقوال تهين بها أرملة وحيدة تخدمك بالأمانة وتبلي كل اشارة وتطلب لك حالا ؟

فقاطعها بليك وقال : اسرعي الى التلفون واطلي لي سيارة

وقال تنكر : نعم عجلي بذلك

واذ ذهبت الى التلفون مدَّ بليك يده الى جيبه وأخرج منه كتاباً أعطاه الى الغلام وقال :

اقرأه فلهه ينير اهتمامك

فقرأه تنكر ما ياتي :

عزيزي بليك - لما التقينا منذ أسبوع في النادي أخبرتني بأنك مسافر قريباً الى مصر في مهمة وانك ستعود عن طريق اسبانيا وتقف في طليطلة وانك تصل الى هناك حوالي ٣٠ أكتوبر اتدكر اليوم الذي تغدينا فيه معاً منذ سنة في شارع بيكر ثم ذهبنا الى ميدان مانشستر ثم الى متحف والس . أتدكر انك رأيت هناك سيفاً قديماً من سيوف طليطلة فأعجبتك كثيراً

وقلت انك تود كثيراً لو حصلت على واحد مثله لتضيفه الى مجموعة الأسلحة التي عندك ؟
فني وصلت الى طليطلة فاذهب الى سيباستيان رويز تاجر الانطيكات (ومحلّه في ممر السوق
التجارية) واذكر له اسمي فيريك سيفاً من أبدع ماصنع وبرجع تاريخه الى بضع مئات من
السنين وهو أدق وأجمل بكثير من السيف الذي رأيته في متحف والس . لقد شاهدته أنا
نفسى حينما كنت في طليطلة من عهد قريب . وهو غالي الثمن جداً ولكنني أعرف انك مستعد
أن تدفع أي ثمن فيه اذا رأيته . انها فرصة نادرة يجب أن لاتضيع . وفي الختام أقبل مزيد
احترامي وأنا أتمنى لك سفرًا سعيداً

صديقك المخلص

دك والس

وكان دك والس هذا من أشهر الصحافيين وأقدرهم وهو صديق قديم لبليك وتنكر
وكثيراً ما يشار كهما في حوادث غريبة في البلاد المتوحشة . وكانت له قبلاً علاقة شغل مع
جريدة « مركري » ثم التحق بجريدة « الدايلى يونيفرس » وهي أشهر جرائد لندن
وكان أيضاً لغويًا ماهراً يعرف العالم جيداً كما يعرفه بليك ولا يباريه في الفروسية والصيد
مبار . واذا قاتل ظننته أسداً

ولم تقف مواهبه عند ذلك الحد ولا عند خطه الجميل بل كان أيضاً مصوراً ماهراً بربشته
وقلمه وآلته الفوطغرافية .

قرأ تنكر الكتاب ثم التفت الى بليك وقالى : لقد أحسن بالكتابة اليك والاشارة الى
السيف رآظن انك سوف تشتريه . أليس كذلك ؟

فهز بليك رأسه علامة الایجاب وقال : نعم اذا كان لايزال في خوزة سيباستيان رويز .
هذه مدة طويلة أريد أن أحصل على ثم توقف وقطب حاجبيه وقال : ما أغرب ذلك ..
فقال تنكر : ماذا ؟

فأجابه : كتاب دك والس . ففي الاسبوع الماضي كنت معه في النادي وحدثته نحوه من
نصف ساعة فلم يذكر لي شيئاً عن هذا السيف ولا انه كان في طليطلة منذ عهد قريب مع اني
قلت له انني ذاهب الى هناك بعد وقت قصير

فقال تنكر : ربما كننا نتحدثان عن أمور أخرى الهتكما بها

فأجابه بليك : كلا . أتذكر جيداً انني ذكرت له نصال طليطلة فلم يبد أقل اهتمام بها ومع

ذلك فهو يكتب لي الآن ويلح عليّ أن أمرّ عليّ محل سيباستيان رويز . ترى ما الذي ذهب به الى طليطلة ؟ لا أظن ان جريدة « اليونيفرس » أرسلته الى هناك فاتها لم تكتب شيئاً عن أسبانيا

وعند ذلك وصلت السيارة . فقال تنكر : هيا بنا يا سيدي فلا نتأخر أكثر من هذا فخرجا من الغرفة كل يحمل كيساً ونزلا السلام وسمعا الكلب يدمدم وراءها ثم ركبنا السيارة فأخذت نجرى بهما ومسز بارديل واقفة تلوح لهما بمنديلهما ونباح الكلب يتبعهما

وكان بادرو ينظر اليهما من شباك في الطبقة العليا وقد التصق رأسه الكبير بلوح الزجاج ورجلاه بعتبة الشباك وهو ينبج نباح مكثب حزين . فقال بليك : مسكين هذا الكلب فسيتقي وحيداً مدة ستة أسابيع ولكن سكستن بليك كان غلطاً في حسابه هذا ولم يدر قط بخلده انه ستنقضي مدة أطول من ذلك بكثير قبلما يعود هو وتنكر الى انجلترا بوجهين قد لوحهما جو أشد حرارة من جو اسبانيا وقد قاسيا من المهالك مالا يوصف وشاهدا من الحوادث الغريبة والأخطار ما لم يخطر لهما على بال

القصة

الفصل الاول

(يوم في برشلونه . على الطريق الى طليطلة . تاج اسبانيا . بليك وتنكر يزوران دكان بائع الانطيكات . السيف . سيباستيان رويز يعطي بليك ظرفاً محتوماً . في فندق كاستلا . دعوة سرية . ما المقصود منها)

في صباح يوم ٢٦ أكتوبر عند الفجر كان بليك وتنكر واقفين على ظهر السفينة « ميرادور » من شركة البواخر الاسبانية برقبان شيئاً كالسراب ذا لون لؤلؤي أسمر عاتماً فوق مياه البحر المتوسط الزرقاء

وكان ذلك السراب مدينة برشلونه ثانية مدن اسبانيا المشهورة ببناء السفن ومصانع الحديد .
ولما أخذت السفينة تقترب منها والغزاة ترفرف أجنحتها لتبرز من خباياها تحول السراب الى
لون ملتهب فباتت الجدران بيضاء والسقوف حمراء يتخللها قطع خضراء سندسية
وكان الدخان يتصاعد من المداخل واسكنه لايجلق في الجو ولا يسقط على الارض لأن
برشلونه وان تكن مدينة صناعية فليس فيها قمام ليدز أو شفيلد أو برمنغام
وبعد قليل رست السفينة فنزلا منها . وبينهما يجتازان الممر قال تنكر : بما اننا قد شاهدنا
من قبل كل مايستحق المشاهدة هنا فلا أرى داعياً لتأخرنا كثيراً
فأجابه بليك : ان نتأخر أكثر من بضع ساعات فان هنالك أما كن تجذب النظر
أكثر من غيرها

وكانت الساعة اذ ذاك الثامنة صباحاً فأخذنا أمتعتهما الى نزل « جراند كوتننتال » في
ميدان كافا لونا حيث اكلا شيئاً من الطعام وخرجا الى المدينة ففضيا هنيئة في « سال ده فرناندو »
يشاهدان الدكاكين الجميلة ثم انتقلا الى سال ده بالاتر حيث صاغة الذهب والفضة . ثم عرجا
على سوق الازهار يستنشقان رائحتها العظيمة واتجها منها الى المتنزه الجديد في « راملبا » وهو
يشبه متنزه « انتر دي لندن » في مدينة برلين وعلى جانبيه صفان من الاشجار الغضة الباسقة .
ثم دخلا البارك من شارع تظله اشجار كبيرة تشبه اشجار السنديان . وبعدما تغديا في مطعم هناك
عادا الى النزل فأخذنا أمتعتهما وركبا سيارة اقلتهما الى المحطة . وفي الساعة الثالثة غادرا المدينة
متجهين غربا

كان الشغل هو الذي اخذهما الى القاهرة فلما فرغت من أيام عطلتها أو نزهنهما
الحقيقية . ولم يريا داعياً الى الاستعجال بل أرادا أن يتبعوا عادة السياح فيصرفا يوماً هنا ويوماً
هنالك ليشاهدا بعض المدن غير المطروقة المنعزلة في قلب البلاد . ولما خرج القطار من ضواحي
المدينة وضع بليك كتاب الدليل الذي كان يقرأه جانباً واشعل غليونونه ثم أخذ يتأمل في المناظر
الجميلة التي أمامه من نافذة القطار وهو صامت لا ينبس ببنت شفة فالتفت اليه وخاطبه قائلاً :

بماذا تفكر يا سيدي

فأجاب بليك : في كتابك دك والس

وفي ١٣١ أكتوبر أي بعد خمسة أيام من مبارحتهم برشلونه وصلا الى طليطلة الجميلة التي

يسمى أهلها تاج اسبانيا لانها رابضة على قمة جبل عظيم يرتفع نحو الفي قدم عن سطح البحر ويلتف حوله نهر الناجس الجميل الذي يخرج من نقرة في الجبال الصوانية ويندفع في سيره فيفصل كلا الصخر والمدينة التي فوقه عما حولها من البر الا من قطعة من الارض ضيقة قد قامت فوقها الاسوار والابراج المغربية لحماية المدينة . ذلك لان طليطلة بقيت ثلاثة قرون ونصف قرن يحكمها المغاربة ولا تزال آثارهم تشهد في كل مكان الى الآن

ومع أن شوارعها غير منتظمة واكثرها معوجة ومرصوفة رصفاً رديئاً ففيها ما يجيبها الى الناظر ويسره . أما الدور والبيوت بالمعنى المعهود في البلدان الاوربية فقليلة جداً وللأسر الاسبانية القديمة قصور خاصة وجميعها مبنية على الطراز المغربي أي ان في كل منها فناء كبيراً محاطاً بالاروقة كما هي العادة في البيوت الشرقية القديمة

ومع أن مدينة مدريد العاصمة واقعة على مسافة قصيرة الى الشمال وهي كثيرة الحركة والضوضاء فان السياح يفضلون عليها طليطلة لان فيها رائحة الاجيال الغابرة وفيها كثير مما يهتم السياح بمشاهدته . من ذلك الكاتدرائية الجميلة والمسرح المربع العظيم ومعمل السلاح الذي تصنع فيه سيوف الجيش الاسباني حتى هذا اليوم . تلك هي المدينة التي احبها بليك وتنكر وكانا قد شاهداها من قبل . وعند وصولهما الى محطتها اخذا مركبة وذهبا الى نزل كاستيلا فابديا ثيابهما واستحما ونزلا من غرفتهما الى قاعة الطعام حيث تناولا غداءهما بشهية عظيمة . ثم قضيا نحواً من ساعتين في الحديقة التي في مؤخرة الفندق تحت ظلال النخل والمان والبرتقال والليمون ولما ابتداء النسيم يهب من ناحية الجبال ويلطف حر النهار تركا الفندق وقصدا الى محل سيباستيان روبز . وبينما هما سائران قال تنكر :

اننى لا أتذكر اسم هذا الرجل مطلقاً

فاجاب بليك : ولا أنا ومن المحتمل اننا لم نعر على محله في زيارتنا السابقة

وبعد قليل وصلا الى « سوق التجار » واشتريا من بائع تبغ هنالك لفائف برازيلية . ولما سالا عن محل سيباستيان ارشدهما الى ممر لم يخطر ببالهما انهما شاهداها من قبل وكان الممر ضيقاً لم يقدر أن يسيرا فيه معاً الا بمشقة . وبعد أن سارا في تعاريج ومنعطفات

مظلمة وصلا الى المحل الذي كانا يطلبانه وهو في كنف جدران عالية موحشة فوجدوا الباب مفتوحاً فاجتارا العتبة فوجدوا انهما في دكان مظلم لا شباك له منار بتعديل معلق في السقف وفيه كثير من الآثار القديمة وفي مؤخرته ستار ظهر من وراءه حينما دخلا رجل نحيف القامة حليق

الشاربين ذو شعر ابيض وسحنة سمراء ويكاذ يكون هو نفسه اثراً قديماً . ولما رآهما تقدم اليهما وهو يفرك يديه النخيلتين وقال لهما بالاسبانية : نهار كما سعيد يا سيدي
وكان بليك يتكلم وهو يحدق بنظره الى الرجل . على أن سيباستيان لم يبد أقل علامة
للدهشة أو الاهتمام بل أجاب : اني أعرف السنيور والس فانه أحد زبائي
فقال بليك : ان والس أخبرني أن عندك للبيع سيفاً ثميناً من صنع طليطلة يرجع عهده الى
مئات من السنين

فاجاب روبرت : نعم يا سنيور وهو سيف لا مثيل له الا في المتاحف
فقال بليك : أريد أن أراه فاني ابحت عن سيف كهذا للمجموعي . فاسرع سيباستيان واحضر
سيفاً ملفوفاً بقراب لين من الجلد . ثم استله من القراب وأرى بليك وتكر سيفاً كانه الفضة
اللامعة وهو من أدق ما صنع

فنظر اليه بليك مدهوشاً وقال : حقاً اني لم أر له نظيراً إلا سيفاً واحداً
فقال سيباستيان : صدقت يا سنيور فانه من أدق ما صنع وهو قديم جداً وترى تاريخ صنعه
منقوشاً عليه - سنة ١٤١٦ . لاحظ سقيه ومرونة فولاذه . ولا أبالغ اذا قلت لك أنه يمكن لفه
كأنه زنبلك الساعة

فقال بليك : لا اشك في ذلك وربما تتذكر ما قاله فالستاف الشهير عن سيوف طليطلة
اذ وصفها وصفاً بليغاً

فتبسم سيباستيان وقال : نعم ائذ كر ما قاله فالستاف وقد كان رجلاً بمعنى الكلمة واني
في ساعات الفراغ أدرس شكسبير دائماً

فقال بليك : وفالستاف عاش في الزمن القديم في قصر شاهدت خرائبه
فقال سيباستيان : نعم ودافع عن قصره دفاع الابطال وربما بسيف مثل هذا يا سنيور . وأنا
أو كد لك انك لن تجد له مثيلاً في المدينة

فقال بليك : انه جميل وقديم وأريد ان اشتريه فكم ثمنه ؟
فقال سيباستيان : يضعب عليّ أن افارقه فانه أعز شيء عندي ولكن التجارة نجارة
يا سنيور فثمنه ثلاثة آلاف بستنا

فاجابه بليك : هذا مبلغ كبير يزيد على مائة جنيه انجليزي
فقال سيباستيان : ولكن تأمل في قدمه يا سنيور فانا لا يمكنني بيعه باقل من ذلك

فقال بليك : حسن . رضيت بذلك . هالك الثمن فارسلس السيف الى عنواني هذا في لندن
انما أمن عليه ولغه جيداً وارسله بالبريد . فاجابه سباستيان : بكل تأكيد ياسنيور . وسارسله ضمن
علبة فاحترس حينما تفتحها لانه سيكون ملتفاً من مقبضه الى رأسه

وبعد ما قبض سباستيان الثمن وأخذ بطاقة بليك بعنوانه في لندن ووعدده بان يرسل
السيف الى العنوان المذكور بعد يوم او يومين التفت صاحبانا ليخرجا من الدكان فوققهما
سباستيان قائلاً : قفا قليلاً ياسيدي . ثم ذهب الى خلف الستار وعاد ويده ظرف أبيض مخنوم
بالشمع قدفعه الى بليك وقال له : هذا لك ياسنيور

فدهش بليك لذلك . ومع انه اشتبه وهو آت الى الدكان بان لكتابك والس معنى غير
الظاهر اعتقد وهو يتكلم مع سباستيان عن السيف ان اشتباهه كان وهماً سخيفاً . لكنه تحقق
الآن ذلك . فنظر الى تنكر ووضع الظرف في جيبه

ثم التفت الى صاحب المحل وسأله منى تلقى الظرف

فاجابه : منذ ثلاثة ايام

فقال : ومن اعطاك اياه

فاجاب : اعفني ياسنيور من الجواب فاننى لا اقدر ان اقول لك ذلك والاحسن ان لا
تسألنى شيئاً آخر

فقال بليك : فهمت . اشكرك كثيراً واستودعك الله

فاجابه : مع السلامة ياسنيور بليك . وارجو ان تشرق في زيارة ثانية حينما تكون في طليطة
فخرج بليك والغلام وعادا مسرعين الى فندق كاستيلا ودخلا غرفة حميرة منفردة تتصل
بغرفة نومها . ففتح بليك الظرف واخرج منه ورقة صغيرة فيها ما يأتي بخط لم يشكا مطلقا
انه خطك والس :

« في اليوم الذي تتسلم فيه هذا الكتاب تعال ليلا في الساعة الحادية عشرة الى قصر
الدون جوس اميجو . وبما أن في سؤالك الغير عن موقع القصر خطراً . فسأقول لك كيف تجده
سر أمام الكاتدرائية . ثم في « العطفة » الثانية الى الشمال ثم في الاولى الى الشمال
ايضا فتجد نفسك في سوق الحرير . ثم التفت فترى في قة الشارع بوابة في جدار . دق الجرس
وانتظر . واحترس في حر كاتك حتى لا يتبعك احد »

فنظر تنكر الى بليك وقال : قسما بكل ما يدهش . انهم يزوون لنا حوادث الغرام الاسبانية .
فهذه احداها يتلوها علينا هذا الكتاب
فأجابه بليك : هذا ما كنت أنتظره . عرفت ان لك والس قصرأ خفياً غير الذي ذكره
عند ايصائه اياى بالذهاب الى دكان سياستين
فقال تنكر : لاشك انه في طليطة مقيم في قصر الدون جوس اميجو ممثل احدى الأسر
العريقة فيجب أن نحترس جداً ولا ندع أحداً يعرف اننا ذاهبان الى هناك فأمامنا مسألة قدرة
ودك والس يطلب الينا أن نساعد على اختطاف ابنة الدون الجميلة . ولا ريب في ان للدون
ابنة فالقصر الاسباني لا يعد كاملاً اذا لم يكن فيه فتاة جميلة
فأجابه بليك : لا تكن سخييف العقل
فقال تنكر : وما الذي تظنه يقصد ذلك ؟
فأجاب بليك : لا أعرف . يجب أن أتحقق . ولو ان والس ذو علاقة بمشروع سري
و ثم سكت وهز منكبيه وقال : يجب أن ننتظر ونرى

الفصل الثاني

(الساعة الحادية عشرة . البوابة . الاصوات المنذرة بالخطر . في قصر الدون اميجو .
منظر تمثيلي . خمسة رجال مقنعين . بليك يهدد . الرجال تذهب . الدون اميجو يعرفنا بابنته
دولورس . ايضاحات غير مقنعة . ماهو السر . عود الى الفندق . تلغراف مدهش من لندن .)
بقي بليك وتنكر في الفندق بقية ذلك النهار ومسانه . وقبل حلول الميعاد المعين في
الكتاب بعشر دقائق نهضا وخرجا من الفندق وأخذا يخترقان قلب المدينة ويلتفتان من وقت
الى آخر الى الورا . ولما وصلا الى سوق الحرير دقت ساعة الكاتدرائية الساعة الحادية عشرة
فوقفا عند الزاوية والنفتا الى الورا ليتأكدا ان لا أحد يتبعهما . ثم صعدا الشارع الضيق
المرتفع . ولما وصلا الى قته رأيا البوابة التي ذكرها والس في كتابه وفيها جرس لكهما لم
يحتاجا الى قرعه اذ وجدا البوابة غير موصدة
فاجتازا البوابة ودخلا الحوش الذي كان تعبق منه روائح الازهار العطرية . ورأيا على
مقربة منهما القصر المغربي العظيم والانوار تسطع من شبابيكه وسمعا فيه صراخاً وجلبة
فقال تنكر : قسماً ان في الامر ما فيه

فأجابه تنكر : أخشى أن تكون الحكاية قدرة

فقال تنكر : وهل علينا أن نشترك فيها ؟

فاجاب بليك : نعم . من غير ان نتردد . فربما كان ذلك والس في خطر

فاسرعا الى الامام وبعد أن سارا نحواً من عشرين خطوة وصلا الى مدخل القصر ووجداه مفتوحاً . فوقفا عند الباب مستندين الى أغصان شجرة كانت هناك ونظرا فشاهدا منظراً تمثيلاً غريباً . رأيا قاعة عظيمة مرتفعة يسطع النور فيها وفي وسط القاعة خمسة رجال مقنعين لابسين معاطف سوداء وعلى رؤوسهم قبعات كبيرة ناعمة وهم مسلحون بالسيوف وأمامهم شخصان ملتجئان الى الجدار أحدهما فتاة جميلة سمراء اللون ذات عينين سوداوين . والآخر رجل جميل الطلعة ذو شارب ابيض وعليه بذلة من القطيفة السوداء والدنلة البيضاء كاشراف الاسنان القدماء الذين نراهم في تصوير فياالسكي

والى الوراء عند أسفل السلم الخشبي جماعة من الخدم في لباسهم الرسمي من الزي القديم وقد تولاهم الخوف والجزع . وكان بليك وتنكر ينظران جميع ذلك فيخيل اليهما أن المنظر غير حقيقي أخيراً قال تنكر همساً : اني حلم نحن ياسيدي ؟ أليس ما نراه تمثيلاً ؟ أليست هذه رواية ؟ رجال متفقون على مؤامرة وبطالة الرواية فتاة جميلة ومعها رجل شريف يدافع عنها والخدم واجمرون قد عداهم الملح

فاجابه بليك : ان الامر لا عظم خطراً وعلينا أن نعمل مهما كلفنا ذلك

فقال تنكر : انني مستعد ولكنني لا أرى ذلك والس فياترى -

فقال بليك : صه يا بني . ودعني أصغي الى ما يقولون

وبينما كان الرجال المقنعون يتحدثون معاً بصوت منخفض اذا الرجل ذو اللحية البيضاء الذي لا بد . أن يكون هو الدون جوس اميجو قد قطع حديثهم وصرخ وهو يرتجف غيظاً قائلاً : اخرجوا من بيتي لا فائدة من بقاتكم فانه لا يمكنكم أن تعلموا شيئاً مني ولا من حفيدي ! وقالت الفتاة بكبرياء : نعم يا جدي لا يمكنهم أن يعلموا شيئاً مني ولو قتلوني .

فهاج الرجال وماجوا وأخذوا يشتمون ويهددون . ثم جردوا سيوفهم وهجموا على الرجل والفتاة ولمس أحدهم بطرف سيفه صدر الدون اميجو وابتدأ يشتمه ويلعنه وقبض آخر على ذراع الفتاة وصرخ قائلاً : أين الرجل الانجليزي ؟ قولي لنا والا فستندمين بعد فوات الفرصة

فاحمرّ خدا الفتاة حقاً وصرخت في وجهه قائلة : كيف نجراً على أن تمنني ؟

ثم سحبت ذراعها منه بقوة وصفعته على وجهه . فارتد الى الوراء ورفع سيفه كأنه يريد أن يغمده في صدرها : فامتقع وجه الدون اميجو فدفع السيف عن صدره وهجم بسرعة على خصم حفيده فضربه على سيفه ضربة شديدة ثم لطمه لطمه جعلته يترنح حتى وقع عند الجدار . ثم هجم على الباقيين وكاد يقع على اطراف سيوفهم لولم تسرع الفتاة وتلقي نفسها بينهم ثم صرخت فيهم صرخة احتقار قائلة : يا اكم من شجعان نبلاء ! أكذا يكون الاسبان ؟ اقتلوني اذا شئتم ولكن اعفوا عن جدي ! ووقفت امامهم غير هيابة ولا وجللة كأنها تزدرى بهم وتحتقرهم . فانزلوا سيوفهم ووقفوا صامتين وعندئذ هرع بليك وتنكر فدخل القاعة غير مباليين بالاحطار وقال بليك بالاسبانية بصوت عال :

عفواً يا سادة . يكفي ماعلمت . انا اعلم ان الامر لا يعنيني لكنني انصح اكم ان تنصرفوا حالا فلم يجبه احد . اما الدون اميجو فاشرق وجهه سروراً بالنجاة وتقدم الى حفيده فضمها بين ذراعيه . لكن الرجال وقفوا مهوتين ينظرون الى بليك وتنكر بعيون تلمع من نقوب قناعات رؤوسهم السوداء . وادرك بليك أن الرجال ليسوا من الرعا بل من طبقة ممتازة وثيابهم تدل على منزلة عالية

ثم قال أحدهم : يظهر انهما انجليزيان

فاجاب آخر : نعم وأنا أعرفهما

فقال الاول : اذن لقد علمت ما اتى بهما الى هنا . يجب أن -

فاجابه الآخر : صه فقد فهمت باكثر مما يلزم

أما بليك فوقف صامتا هادئا لا ينطق ببنت شفة : وكذلك الدون اميجو والفتاة

ثم اقترب الرجال بعضهم من بعض وتهامسوا هنيهة قصيرة قرروا فيها ما يفعلون . ثم أغمدوا سيوفهم والتفتوا بمعاطفهم السوداء وتقدم أحدهم فقال :

اننا ذاهبون يا سنيور سكستن بليك . ذاهبون من تلقاء أنفسنا . وليس خوفاً منك .

فأجابه بليك بلطف قائلاً : است أدعي أنكم ذاهبون خوفاً مني

فقال الرجل : ومع ذلك فتحن مستأؤون من وقاحتك . فهل تريد أن تعتذر ؟

فأجاب بليك : اعتذر ؟ كلا ...

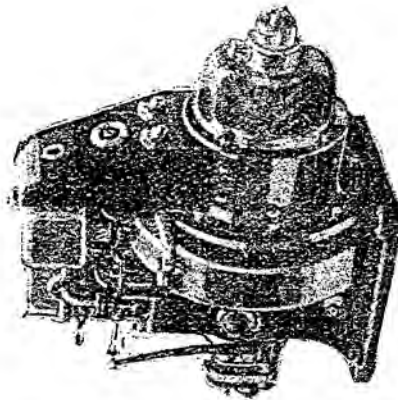
(ستأتي البقية)

سيمنس

موتورات وجهازات كهربائية

ماكنة للتنوير بالكهرباء ماركة سيمنس

مخصصة للمنازل الريفية



للتنوير بالكهرباء

أطلبوا هذه الماكينة

لأنكم بواسطتها يمكنكم الحصول على النور الكهربائي أينما شئتم . وهي من اقل وسائل التنوير نفقة واتمها دقة واتقاناً وإضمنها راحة وطريقة ادارتها بسيطة جداً والحل مستعد لأعطاء كافة التعليمات حين الطلب . شرفوا محلنا تجدوا ايضاً اعظم تشكيلة نجفات كهربائية ولمبات تقالي وجميع الادوات الكهربائية المخازنة مع

١. برولمان وشركاه الكهربيين

الفرع المصري لمحل شيمنس . شارع المغربى مصر . صندوق البوستة نمرة ٦٥٤

الاوراق المالية المصرية

الفرق بين اسعار اهمها في شهر

في ٢٦ فبراير سنة ١٩٢٦

في ٢٦ يناير سنة ١٩٢٦

جنيه	$٨٢\frac{٥}{١٦}$	الموحد	$٨٢\frac{٥}{١٦}$
»	$٧٢\frac{١}{٢}$	الممتاز	$٧٢\frac{٥}{٨}$
»	$٣٦\frac{٣}{٨}$	البنك الاهلى	$٣٣\frac{٣}{١٦}$
»	$٨\frac{١}{٢}$	» الزراعى	$٨\frac{١}{٢}$
فرنك	٩٥٢	اسهم العقارى	٩٨٥
»	٥٤٨	السندات الاولى	٥٥٢
»	٣٥٢	» الثانية	٣٤٦
»	٣١٠	» الثالثة	٣١٩
»	٤٧٢	السويس ٥ بالمائة	٤٧٦
»	٣٥٦	» ٣ »	٣٤٧
»	٣٣٨	هايو بوليس	٣٣٣



المجلة الشهرية

فهرس الجزء الثانى (مارس) من السنة الثانية

صفحة	صور	صفحة	صور
١١٣	قياس ضغط الدم	٢	٣
١١٨	انجلترا في فلسطين	٨	١٧٣
١٢٥	تأثير الطقس في الاجسام	١٧٦	المشعوز طاهره بك
١٢٩	مخترعات اديصن المنتظرة	١٧٩	فتح السودان وفتح الترام
١٣٤	ترعة بناما	١٨٧	صور الاولاد
١٤١	تاريخ الارض	١٨٨	١٤
١٤٣	العلاج بالتطعيم	١٩٢	اسرار قلب زوجة
١٤٨	الحجاء المنتظرة	١٩٣	اسئلة وأجوبتها
١٥٤	تصوير الوحوش في معاورها	١٩٥	المجهر
١٦٥	جبل افرست	١٩٧	آخرة الارض
		٢٠٥	ثقل الهواء
			٢
			وفيات الاعيان
			العالم في شهر

فالمجموع ٢٠ مقالة و ٤٤ صورة

ولم يفرغ من يدرك ١٩٢٦

في بلاد الريف

(٢)

فقال الرجل : حسن يا سنيور بليك . نحن لا نطلب منك أن تفعل ما لا تريد . ولكن دعني احذرك من التعرض لأمور غيرك حينما تكون في اسبانيا . وانك لنحسب صنعاً اذا اصغيت الى نصيحتي وفعلت كما أقول لك

فهز بليك متكبّيه ولم يجبه بشيء . ثم نزع الرجل المتنعون قبعاتهم وانحنوا بأدب وخرجوا من القاعة الى الحوش ثم تواروا في الظلام

فالتفت الفتاة الى بليك ورفيقه وابتمت لهما ابتسام الشكر والامتنان . وتقدم الدون جوس اميجو فصاغها ووجهه يطفح سروراً وقال : اخذ لي الشرف انني اكلم السنيور سكوتن بليك ومساعدته تنكر . فاجابه بليك : نعم يا سيدي ونحن مستعدان لخدمتك

فقال الدون اميجو : لقد خدمتاني خدمة لا تقدر بثمن فانا اشكركما لاجلها . لقد خلصتاني من زوار غير مرغوب فيهم . ومن يعرف ماذا كانوا يفعلون في ساعة غضبهم لولا كما

فقال بليك : لا أظن انهم كانوا يؤذونكم

فاجاب الدون اميجو : من المحتمل . فانه ان كان عملهم سيئاً فانهم ليسوا من الرطاع

وقال بليك : هذا ما لحظت واظن انهم

فقاطعه الدون قتيلاً : سنتكلم عن ذلك فيما بعد يا سنيور بليك . والان دعني اعرفكم كما يحببني .

الآنسة دولورس وهي شمس بيتي وتعزني الوحيدة في أيرني الاخيرة

فاحمرت الفتاة حياءً وارتمت على وجهها الجميل ابتسامة لطيفة . ثم رفعت نظرها

الى بليك وتنكر وشكرتهما بدورها على صنيعهما

ثم طلب الدون اميجو اليهما أن يتبعاه الى غرفة بعيدة عن القاعة التي كانا فيها

وكانت هذه الغرفة كبيرة ومفروشة على النمط الاسباني الذي تنقبض النفس منه . جدرانها

مغطاة برسوم مزركشة وفيها مصابيح من زجاج مختلف لالوان ينبعث منها نور ضئيل

فجلس الدون وضيوفه الى خوان كبير وذهبت الفتاة فأخرجت من خزانة زجاجة فيها سائل

ذهبي اللون وثلاثة كؤوس صغيرة ثم ملأت الكؤوس وخربت من الغرفة بإشارة من جدها

فرجع الدون اميجو الكأس وشرب ما فيها قائلاً : ان عمر هذا الشراب قرن وقد حفظته
لاحوال خاصة كهذه . ثم وضعها على الخوان وقال : لاريب يا سنيور بليك انك تريد ايضاً
لما رأيته هذه الليلة فاسمع

ان صديقك السنيور دك والس هو صديقي منذ سنين . وكثيراً ما أقام في ضياعي . فمذ
ثلاثة أيام حضر الى هنا بغنة وقص علي قصة غريبة وهي أن بعضهم هجم عليه في مدريد بقصد
اغتياله وأنه يخشى من هجمة ثانية . وإذا كان يعرف انك ستكون في طليطلة حوالي الثالث عشر
من هذا الشهر استصوب أن يطلب مساعدتك فكتب لك كتاباً وأخذته الى دكان سباستيان
تاجر الانطيكات لانه عرف أنك ستذهب اليه حينما تصل

ولم يخرج من القصر إلا في هذا المساء بعدما خيم الظلام فانه خرج ليذهب الى دكان
سباستيان ليرى هل تسلمت الكتاب . لكنه عاد بعد فترة قصيرة وقال انه لم يذهب الى
الدكان لانه لم يجد في محل قريب الاشخاص الذين كان يخشاهم . ومع اني عرضت عليه أن ارسل
وأطلب قوة من البوليس للمحافظة عليه فانه رفض وأصر على الذهاب من القصر حالا . ثم
انسل في الظلام من مؤخر القصر ولم ير على ذلك ساعة حتى دخل علينا اعداء السنيور وهم
الرجل الخمسة الممنعون . ولما اخبرتهم انه قد سافر لم يصدقوني بل فتشوا القصر من فوق الى
تحت وهددوني أنا وحفيدتي لتقول لهم ما نعرف عن الرجل الانجليزي . ثم حضرت انت .
والسنيور تنكر فهذا كل شيء .

فقال بليك : ليس هذا كل شيء فان هنالك اموراً كثيرة أود ان اعرفها . فما الذي اتى
بصديقنا دك والس الى اسبانيا ؟

فقال الدون : انه اتى بمهمة سرية

فقال بليك : وما نوع هذه المهمة . ولماذا هجم الرجال عليه بقصد اغتياله ؟

فجز الدون اميجو رأسه وقال : يسؤني ان اقول انني قد وعدت السنيور والس ان لا
افضي اليك ولا الى غيرك بما اسره الي

فسأله بليك : والى اين ذهاب ؟

فقال الدون : ولا هذا أيضاً أقدر أن ابوح لك به . وكل ما يمكنني ان اقله لك هو انه

قد غادر طليطلة في سيارة

فقال بليك : انها غباوة منه ان يقيدك بعهد كهذا بعد ما طلب مساعدتي

فقال للدون : اكد لي أنه في سلام وأنه لا يخشى شراً من اغدائه
فقال بليك : على الاقل قل لي شيئاً واحداً . هل كان الرجال المقنعون من الحزب الملكي
في مدريد ؟ فتردد الدون اميجو هنيهة ثم قال : نعم انهم من الحزب الملكي
فقال بليك : من الصعب اذن أن يفلت ذلك والس من أيديهم فلاجل سلامته يجب ان
تقول لي الى ابن ذهب

فاجابه الدون : لا يمكنني أن احث بوعدي وأنت انسان شريف تعرف ذلك
فلما رأى بليك أنه لا يقدر أن يعرف اكثر من ذلك أو أن يقنع الدون بان بحث بوعده
تهض هو وتتكبر واستأذنا بالانصراف وخرجوا سارا يقطعان شوارع المدينة الهادئة وهما
مذهولان مما رأيا وشاهدا . وبعد قليل قل بليك : ما وراء هذا ياترى ؟ أمشروع شخصي اتى
بك والس الى هذه البلاد أم قد ارسلته جريدة « اليونيفرس » بمهمة سرية الى مدريد لانتم
عمل ما فاصطدم بالحزب الملكي . على أن والس لا يلتقي بنفسه في تهلكة ولا يقدم على أمر
هالم يتأكد سلامته ولا يتعرض لمسألة سياسية في بلاد أجنبية هي صديقة انجلترا لاجل سواد
عيني « اليونيفرس »

فقال تنكر : من المحتمل أن يكون قد وقع في غرام ابنة الدون اميجو الجميلة وله مزاحم
من الحزب الملكي فيها

فقال بليك : ليس بعجيب أن يكون قد وقع في شرك غرامها . ولكن لا علاقة لذلك
بهذه الحادثة السرية التي لأعرف حقيقتها . ثم أن هنالك امراً واحداً ظاهر وممع ذلك لا يدانا
على شيء مطلقاً

فقال تنكر : وما هو ياسيدي ؟

فاجاب بليك : حينما تكلمت مع والس في النادي منذ كم يوم لم يكن ينوي المجيء الى اسبانيا
على أنه حينما أرسل الى الكتاب الذي جاءني صباح سفرنا الى مصر عرف أنه سيكون في طليطة
حين وصولنا اليها

فقال تنكر : وعرف أيضاً أنه ربما احتاج الى مساعدتك ولذلك ألح عليك كثيراً أن تذهب
الى دكان سباستيان لتشتري السيف فإنه قصد أن يترك لك كتاباً هناك

فقال بليك : الامر كما تقول تماماً يا بني

ولما وصلا الى الفندق صعدا رأساً الى غرفة الجلوس المخصصة لهما ولم يكادا يجلسان حتى

قرع الباب فدخل أحد الخدم وبيده رسالة برقية الى بليك فدهشا . فقال ، الخادم : ليس عليها الا اسمك فقط يا سنيور ولكن ساعي التلغراف بعدما سأل عنك في الفنادق الاخرى في المدينة اتى بها الى هنا . فأخذ تنكر يصفر . وبعد أن خرج الخادم قال : انها رسالة من البلاد الاجنبية ولا يمكن أن تكون من دك والس

فاشار بليك بالايجاب وقال : ان هنالك شخصاً نادياً فقط يمكنه أن يرسل لي رسالة برقية الى هنا . ثم فتح الظرف وقرأ الرسالة بصوت عال وهي :

« لا تبارح طليطلة . انتظر الاخبار . الاوراق والارشادات في الطريق . الامضاء ترانت »

فقال تنكر : يا لله انها من السير فرنسيس ترانت . فهنا مسألة سرية أخرى

فهز بليك منكبيه وقال : ليست هي مسألة أخرى بل هي المسألة نفسها . ولا شك مطلقاً

يا تنكر أن الرسالة تشير الى دك والس

فقال تنكر : بل لا ريب . فانها لا تعني شيئاً آخر . مسكين دك يظهر أنه وقع في مشكلة مع الحكومة

فقال بليك : ليس ذلك ببعيد . ثم تمدد على كرسي كبير وقل لتنكر : اني سأدخل غليوفاً

قبلما أنام فاذهب انت ونم . فأجاب تنكر : اني ذاهب فاني تعب جداً . ولكن قل لي ياسيدي

من هو الاسباني الذي عرفك في بيت الدون اميجو . أعرفه ؟

فهز بليك رأسه وقال : كلا . اني أعرف كثيرين من اعيان الاسبان ولعلي التقيته في

مديرية أو تعرفت به . في ناد أو مطعم أو دار تمثيل في لندن . فلا تهتم كثيراً بذلك يا بني بل

ثق بانه لاخوف علينا من رجال الحزب الملكي اعداء دك والس ما لم تقف في سبيلهم مرة

أخرى - الامر الذي لا أظن انه يحصل

الفصل الثالث

انتظار الاوامر - بناء صغير - شبح الريبة - الرزمة المرحى عليها - السرينجلي - تعليمات

السير فرنسيس ترانت - الذهاب جنوباً - في ميناء ملقا - اقتفاء أثر السيارة - التحريات غير

المنشورة - السفر الى مرا كش

مكث سكتن بليك وتنكر في طليطلة يومين وهما ينتظران . ولو اتبعا انتظرا أكثر من

ذلك ماتدمرا لانهما قضيا اليومين مسرورين مبتهجين . فجابا كل زاوية من زوايا المدينة القديمة

ودعاها الدون جوش اميجو فتعشيا معه ومع الآتسة دولورس ولم تفتح قصته دك والس ولا

ذكر اسمه في ذلك المشاء . وزارا مصنع الجيش وذهبا في نزهة الى قصر مونتالبين وجبال طليطلة
وكانا طول المدة يشعران بان آثارهما تقتنى . وفي صباح اليوم الثالث اذ كانا على امة
النزول للفطور اذا أحد خدم الفندق قد اتى برزمة « موصى عليها » لبليك فأخذها وفتحها
في غرفة الجلوس فوجد فيها عدة اوراق محتومة وكتابا من السير فرنسيس ترانت يقول فيه :
عزيزى بليك - يسؤني أن أقصر فسحتك . ولكن هناك امراً يجب أن تساعدني فيه
بلغنى امس ان صديقك دك والس المندوب عن جريدة « اليونيفرس » قد غادر لندن منذ
نحو اسبوع قاصداً ميناء مليلا (في مراكش الاسبانية) عن طريق اسبانيا ومدير وسينذهب
من مليلا الى بلاد الريف ويصل الى مركز القيادة العام لعبدالكريم القائد المغربي الشهير . وقد
بلغنى ايضا أنه يحمل أوامر رسمية مشددة تقضى بمنع كل مامن شأنه تأخير . وان هذه الاوامر
حصل عليها بواسطة صاحب « اليونيفرس » . ولما ارسلت واستدعيت الشخص الاخير اكد
لي أن والس قد ارسل الى بلاد الريف للرسم والتصوير وكتابة مقالات محايمة فقط

قد تكون تعليماته كذلك . ولكن انا اعرف دك والس جيداً وحبه للخصام والمجازفة
وأخشى ان يغرى فيظهر في المقالات التي يكتبها عطفاً على الريفيين فتتأثر العلاقات الحسنة التي
بين حكومة جلالة الملك والحكومة الاسبانية . انت تعرف جيداً الحال في تلك البلاد . فالحزب
الملكي مصمم على مواصلة الحرب الى ان يلقي الريفيون سلاحهم ويخضعوا . والحزب الثاني
العظيم يلح في طلب الصلح مما كف ذلك وينادى بوجوب انتهاء الحرب على شروط يرفضها
الحزب الملكي رفضاً باتاً

لاريب في انك موافق عن ما ارتايه . فمن الجهة الواحدة ترى الريفيين يحاربون ببسالة
عدواً قويا لاجل استقلالهم مع ان الدافع الاعظم لهم على ذلك هو حبهم الغريزي للحرب والنزال
وليس الحرية . ومن الجهة الثانية ترى الحكومة الاسبانية على حق تام في المحافظة على حدودها
في مراكش الاسبانية

لو فرضنا أن احدى مستعمراتنا الصغرى كنيجيبريا أو الساحل الذهبي اجتهدت ان تلقي
نير الامبراطورية البريطانية عنها فانجلترا انحارب الى آخر رمق للمحافظة على املاكها
ولكنني قد خرجت عن الموضوع . فانا لا أمس حرية الصحافة ولا أقدر ان امنع مدير
« اليونيفرس » من نشر اي مقالة يرسلها اليه مكاتبه
لذلك اريد ان تقتني اثر والس ولو الى مفكر عبدالكريم . واذا لحقت به فبين له الحال

واقعة بان يعود معك . قل له انه لا يجوز أن يبقى في بلاد الريف مهما يكن قصده . وقد لا تحتاج الى أن تسافر الى مراكش لاني لا اعرف شيئاً عن حركاتك والس . وهو وان يكن قد سافر ومعه الاوراق الرسمية التي ذكرتها فمن المحتمل أن الحزب الملكي سعى فوقفه في مدريد أو في محل ابعد من ذلك جنوباً . وعلى كل حال اذا ثبت لك انه قد عبر البحر المتوسط فاتبه مقتفياً أثره . والاوراق المرسلة مع كتابي هذا هي كاملة تفي بالغرض تماماً وقد اخذتها من السفير الاسباني في لندن ولا أظن ان احداً يعارضك .

قد لا يصل الى يدك كتابي والاوراق ولا الرسالة البرقية . مع اني ارجو ان تصل جميعها وعلى كل حال اذكر انك قلت لي انك ستكون في طليطلة حوالي ٣٠ من الشهر الحالي وانك ستسكن هناك بضعة أيام لذلك ارسلت رسالتي البرقية في يوم ٣١ منه . لقد اوضحت لك كل شيء . فاهمية المسألة هي من الوجه السياسي ولا أظن انه يحصل ضرر خطير اذا فشلت في مهمتك . ولكنني اعتقد انه اذا كان ذلك والس قد وصل الى بلاد الريف فيمكنك ان تجده وأن تعود به . سجل نفقاتك على وزارة الخارجية ولا تهتم بان تكتب أو ترسل الي رسالة برقية واقبل مزيد احترامي م

الخلص
ترانت

قرأ بليك الكتاب لتسكر بصوت عال وعند فراغه منه أجابه انه فهم كل شيء واتضح الامر لما فعر فاسبب ما حدث في قصر الدوث جونس اميجو . ذلك أن بعض المنظرين المتحمسين من الحرب الملكي قاموا بمهمة ذلك والس وهو في مدريد فاجتهدوا أن يمنعوه من الوصول الى مراكش الاسبانية . وتفاوض بليك وتسكر في الامر فرأيا من الواجب أن يكونا في خدمة السير فرنسيس ترانت لانهما كانا مرتبطين بديوان الوزارة الخارجية ولو عن طريق غير رسمية .

ثم قل تسكر : أود أن أعرف هل نجح ذلك والس من أعدائه الملكيين ؟

فاجاب بليك : قد نجح منهم على ما اظن فقد أفلت منهم مساء الثلاثاء ولا ريب انه قصد أن يذهب بسيارة رأساً الى ملقا التي هي ميناء مليلا ولكن بما أن أعداءه يعملون بمهمته فمن المحتمل انهم وقفوه هناك اذا كان لهم نفوذ كفي والافهوا الآن يعبر البحر المتوسط وقد صار على مقربة من الساحل الافريقي

ثم من المحتمل أيضاً أن يكون قد وقف في مليلا ولم يؤذن له أن يواصل سفره . وفي هذه

الحالة لا يعدم وسيلة للهرب من المدينة والذهاب الى حيث يريد . واذا وقفوه في ملقا فسيجد طريقة لعبور البحر المتوسط وانت تعرف اقتداره وسعة حيلته في احوال كهذه .

فقال تتمكر : اذن يظهر انه لا بد من ذهابنا الى بلاد الريف .

فاجاب بليك : نعم يجب ان نسافر اليوم الى ملقا . ولكن يجب ان نتحقق أولاً هل أن ذلك والس . . . لقد خطر لي ان . . .

وبعد ان توقف هنيهة قال وهو يضع الكتب والاوراق في جيبه : لقد خطر لي أنه من المحتمل ان نجد في طليطلة دليلاً يساعدنا يا تتمكر . فلنجرّب . . .

ثم نزلوا الى غرفة الطعام . وبعد ما نظروا وعرفوا مواعيد قطرات الجنوب تركا الفندق وخرجا فذهبا وزارا جميع المحلات التي تباع أو تؤجر السيارات . ولكنهما لم يقفيا على دليل . واخيراً وصلا الى مستودع صغير في شارع انجليزيه صاحبه شخص أسمر اللون ذو لحية كثة اسمه جوان بلانكو واذ كان هذا المحل أصغر محل من نوعه أيقن بليك ان ذلك والس قد أخذ سيارة منه . ومما زاده إيقاناً تأكدته من قبل ان اللون اميجو لا يقتنى سيارة . فخيا بليك الرجل وسأله بعبث : هل أجرت أو بعث سيارة لرجل انجليزي في مساء الثلاثاء يوم ٣١ من الشهر الماضي ؟

فاجاب جوان بلانكو حالا وهو يرمق بليك بخبث : كلا يا سيدي .

فعرف بليك ان الرجل كذب وادرك سرّ كذبه . فاخرج محفظته وأخذ منها ورقة بقيمة خمسين بستا ووضعها في يد الرجل . فاراد الرجل أن يردها ولكن بليك هز رأسه وقال : خذها وكن مطمئن الضمير فلن يصيبك اذى اذا قلت لي الحق عن الرجل الانجليزي فانه صديق لي وقد هرب من طليطلة لأن حياته كانت في خطر وانا أريد ان أجده لكي أساعده ولا شك انك قد رأيته .

فتردد الرجل هنيهة ثم قال : أحقيقة انك صاحبه يا ستيور ؟

فقال بليك : أقسم لك بشرفي انه صاحبي .

فأجاب جوان بلانكو : حسن اذن سأعالمك بصراحة وحرية . ان الرجل الانجليزي جاء الي هنا مساء يوم ٣١ من الشهر الماضي وقال لي ان حياته في خطر وجعلني أعده بان لا أقول لاحد شيئاً عنه ثم طلب مني سيارة حالا . فبعته سيارة مستعملة دفع منها نقداً وسافر .

فقال بليك : هل استأجر سائقاً ؟

فاجاب الرجل : كلا يا ستيور بل ذهب وحده

فقال بليك : قل لي نوع السيارة وصفها لي
فاجاب الرجل : هي سيارة فرنسوية صغيرة من صنع « بوتون ترافيل » ولونها أزرق
غامق واسمر

فقال بليك : هل أخبرك صاحبي الى أين هو ذاهب ؟

فاجاب الرجل : كلا يا سنيور . لم يقل ذلك

فقال بليك : هل جاء أحد فسأل عنه ؟

فاجاب الرجل : نعم . في صباح يوم الاربعاء زارني رجل اسباني وسألني هل اتى الى
رجل انجليزي واستأجر مني سيارة في الليلة الماضية واذ عرفت انه من اعداء الرجل الانجليزي
أجبته : كلا .

فقال بليك : وكيف عرفت ذلك ؟

فاجاب الرجل : جاءني وعلى وجهه علامة الغيظ والاهتمام وفوق ذلك فاني عرفته لانني
كنت بعته سيارة منذ سنتين حينما كنت مديراً لمستودع سيارات مدريد هو السكونت
دي كوندى احد الملكيين . لذلك خدعته ولم اخبره بشيء

وبعد أن توقف قليلا قال : اني لا أحب الملكيين

فشكره بليك وخرج اذ عرف كل ما عنده بل أكثر مما كان ينتظر .

ثم قال وهو خارج من ذلك المستودع المظلم الى نور الشمس البهي : السكونت فيليب
دي كوندى ! . . .

فقال تسكر : قد سمعتك تتكلم عنه مرة ..

فاجاب بليك : نعم . قابلته منذ ثلاث سنوات في حفلة اقامتها السفارة الاسبانية في لندن
اكراماً لملك اسبانيا وملككتها . وهو شاب من الاشراف مهذب جميل

فقال تسكر : رهو أحد الذين أرادوا الاعتداء على حياة دك والس

فاجاب تسكر : عسى انه لم يكن منهم . وانا اعتقد انه لم يقع اعتداء كهذا ولعل الملكيين
لم يقصدوا الا ان يخوفوا والس فيعود الى انجلترا . ان اكبر الاسبان شرسون ومتهورون ولكن
على كل حال يجب ان لا تقلق أو تخاف على دك والس فقد ضل اعداءه وجعلهم يعتقدون انه لم
يستأجر سيارة ولا سافر بالقطار ولا بد ان يكونوا قد سالوا عنه في المحطة واذ لم يقفوا له على
اثر زعموا انه لا يزال مختبئاً في مكان ما في طليطلة

فقال تنكر : وبينما هم يبعثون عنه هنا يكون هو قد وصل الى افريقيا
فاجاب بليك : وذلك ما أظنك تمنى ان يفعله يا من تحب المجازفات
ثم عاد الى الفندق وبعد ما تعديار كبا سيارة ونزلا الى محطة السكة الحديدية وفي الساعة
الثانية بعد الظهر كان القطار يسير بها جنوبا وهما في مركبة من الدرجة الاولى وحدهما
وكانت المسافة التي امامها طويلة والقطار يسير بها بطيئاً وقد اضطرا ان ينزلا منه
ويستقلا غيره مراراً عديدة .

في الساعة التاسعة من صباح اليوم التالي وصل بليك وتنكر الى ميناء ملقا الاهل . وقد
عزمنا ان يمكننا هنا يوماً أو أكثر لانهم لم يريدوا ان يعبرا الى مرا كش الاسبانية ما لم يتأكدوا
ان ذلك والس قد سبقهما اليها . ولم يكن لهما من أمل ان يعرفا ذلك حالا في مدينة كبيرة كهذه
لكنهم لم يتمكنوا الا مدة قصيرة فقط . فانهما استأجرا سيارة وزارا نحو ستة مستودعات للسيارات
قبل ان خدماهما الحظ اذ وجدا في المستودع السادس ما كانا يبحثان عنه وهو سيارة صغيرة من
نوع «بوتون ترافيل» لونها أزرق غامق وعليها آثار السفر الطويل
فدخل بليك الى صاحب المستودع وبعد ان حياه سأله عن السيارة . فلم يخف عنه شيئاً
بل اجابه قائلاً : ان رجلاً انجليزياً أتى بها الى هنا منذ يومين أي صباح يوم الخميس الماضي . أما
اسمه فلا أعرفه

فقال بليك : هل باعك هذه السيارة :

فاجاب التاجر : كلا . لم يذكر لي انه يريد أن يبيعها بل أودعها عندي وقال انه سيعود
او يأخذها حينما يرجع من مرا كش فانه ذاهب ليمكث هناك شهرين
فقال بليك : ألم يقل لك شيئاً آخر :

فاجاب التاجر : نعم ياسنيور . قال انه وصل الى ملقا في مساء اليوم السابق ومكث في فندق
وسيسافر الى مليلا بعد ساعة . وهكذا قفل . فان صديقاً من عندي حمل له كيسه الى المركب
اذ لم يجد مركبة وقتئذ . والصبي رآه يصعد الى المركب

فقال بليك : نحن انفسنا ذاهبون الى مليله فمتى يسافر المركب ؟

فاجاب التاجر : في الساعة السابعة مساء . فان باخرة البريد تسافر في ذلك الميعاد من
رصيف الاميدا .

وعند ذلك دخل زائر فقطع الحديث . فخرج بليك والغلام ورأيا أنه لم يبق حاجة للاستقصاء من محل آخر . فان ذلك والس قد سبقهما بيومين
 اما سبب عدم تخفي ذلك والس في ملقا كما فعل في طليطلة فظاهر فانه حينما كان ضيفا على
 الدون جوس اميجو كان خائفاً على حياته من اعدائه الملكيين . ولكنه لما
 ضلهم وأمن شرهم بهربه جنوباً لم يبق حاجة الى التخفي ولا سيما أن الاوراق التي كان يحملها
 كانت كافية لحمايته واطلاق حرية . ويظهر أنه لم يخش شراً من نفوذ الملكيين ولم يحسب لهم حساباً
 وسر تنكر بالسفرة التي أمامها الى مراكش الاسبانية . أما بليك فالتفت الى تنكر وقال له
 انني متأسف لاننا لم نقدر أن نمنع والس من العبور الى أفريقيا
 فأجابه تنكر : لا أخالك متأسفاً أبداً

فابتسم بليك وقال . سنعمل ما في طاقتنا فان السير فرنسيس ترانت قد اعتمد علينا .
 فتناول غداءنا في أحد المطاعم ونجول مدة في المدينة وفي المساء نركب الباخرة ونسافر الى مليله
 ولكنني أخشى أنه عند ما نصل الى هناك نجد ذلك والس قد ذهب الى الريف
 فقال تنكر : دعه يفعل ما في نفسه قبلما نجد
 فهرب بليك رأسه وقال : إن أول أمر يجب الاهتمام به هو العلاقات الودية التي بين انجلترا
 وأسبانيا . فعلينا أن لا ننسى ذلك

الفصل الرابع

في أرض الف ليلة وليلة — في فندق « اسبانول » في مليله — الكاتبين هر مانوس —
 صدمة غير منتظرة — محاورة شديدة بين بليك والضابط — الضابط يعقلب — حديث مع
 الناظر — أخبار من ذلك والس — حلوان لبليك

في اليوم التالي قرب الظهر غادر بليك وتنكر باخرة البريد ونزلا الى البر في مليله وذهبا الى
 فندق « اسبانول »

وبعد وصولهما الى الفندق بساعتين كانا واقفين على شرفة في الطبقة العليا من الفندق
 يستنشقان الهواء البليل . فنظر تنكر الى المدينة أمامه وقال : ليست هذه مدينة جميلة جداً ؟
 فاجاب بليك : انها فتانة تعيد الى الراء ذكرى حوادث الف ليلة وليلة أكثر من كل
 مكان رأيناه في مراكش . فالشوارع مزدحمة بدواب الحمل وباناس لابسين ثيابا غريبة مختلفة

فمنهم المغاربة بالجلاليب والبرانس . ومنهم اليهود بالقماطين وبينهم زوج ونساء بشباب غريبة
ومزيج من الجنود الاسبانية

وكانت جدران البيوت بيضاء قائمة بعضها فوق بعض وبينها قباب وما دثر تخللها
الخضرة والاشجار . وكانت الشوارع ضيقة وبعضها مغطى بقناطر وفيها منازل أغنياء المغاربة
وجداول الماء تنساب من جنانها . وترى هنالك أصحاب الحرف يصنعون المناديل الحريرية
والخشب المزخرف . وإلى مسافة بعيدة ترى السوق على رابية جرداء مكتظة بخلائق مختلفة الاشكال
حقاً إن منظر مليه فأن يسحر النظر وضواحيها بديعة جداً

ولذلك لم يشأ بليك وتنكر أن يترك الشرفة ويدخل غرفة الجلوس الخاصة بهما والتي
كانت مفروشة فرشاً أنيقاً إلا بعد مدة . وبعد أن تمتع النظر ملياً دخلا والتي تنكر نفسه على مقعد
هناك وقال : لقد وصلنا الآن فإين ذك والس ؟

فقال بليك : هذا ما تريد أن نعرفه . لقد وصل الى هنا قبلنا بيومين فمن المحتمل انه الآن
في الريف . ومن المحتمل أن يكون قد ذهب حرصاً على الوقت كما انه من المحتمل أيضاً أن
يكون باقياً في المدينة

فقال تنكر : وما الذي نويت أن تفعله لتعلم الحقيقة يا سيدي ؟
فاجاب بليك : لقد افكرت في ذلك ولا أظن أن في الامر صعوبة . قلت لك حينما وصلنا
الى هنا أن الرجل الفرنسي صاحب هذا الفندق (جول تارازكون) كان مديراً للفندق باريس
في النيجويا منذ عشر سنين وأنا أعرفه جيداً وهو ايضا لم ينسني واذكر أنه كان معدن الاخبار
يعرف جميع أبناء المدينة بتفاصيلها ولما استأجرت منه غرفة هذه قال لي أنه صار له ثماني سنوات
في مليه . فلا شك اذن أنه يعرف كل أخبار المدينة وحوادثها . وبما أنه فرنسوي وليس أسبانيا
فلن يأتي أن يقضي الى بكل ما عنده من الاخبار

فقال ذك : عرفت . عرفت . انك تظن أن الميسو تارازكون يعرف شيئاً عن ذك والس
فاجاب بليك : أظنه يعرف . وإذا كان لا يعرف فسوف يسأل ويستقصي وانني لا أريد أن
أفعل ذلك بنفسني لئلا يفضح أمرنا لأنه اذا عرف الكونت فيليب دي كوندى وأصحابه
الملكيون أننا قد أتينا لكي . . .

ولم يتم بليك جملته لأنه سمع قرعاً على الباب ففتحه فدخل ضابط أسباني طويل القامة

تخيف البدن في نحو الاربعين من عمره ذا بشرة سمراء وشارب اسود وكان على خدة ندبة وعلى صدره عدد من الانواط . فالتحى بفتور وضرب مهمازيه معا على النمط البروسي وقال : أظن انني أكلم السنيور سكستن بليك

فاجاب بليك وهو متعجب وغير مرتاح الى هذه الزيارة : نعم أنا هو

فقال الضابط : أنا الكابتن هرمانوس وقد اتيت اليك من قبل حاكم المدينة العام

فقال بليك : لقد شرفتنى يا حضرة الضابط

فاجاب الضابط : بل أنا الذي نلت شرف ذلك فهل لك أن تسمح لي أن أسألك عن

قصدك من المجيء الى مرا كش؟

فاجاب بليك : لمشاهدة البلاد

فقال الضابط : أتعي بلاد الريف ؟

فاجاب بليك : ربما رغبنا في الذهاب الى هناك

فقال الكابتن هرمانوس : يجب أن نغير اخطاكم لانك لا تقدر ان تذهب الى أبعد من مليه

فقال بليك : عجباً . ولماذا ؟ ان أوراقنا فحصت حينما نزلنا الى البر وأعيدت الينا من

دون اعتراض

فاجاب الضابط : ان السبب بسيط جداً ياسنيور . ففي الساعة الاخيرة وصلت رسالة

برقية من مدريد الى الحاكم العام لمنعك أنت ورفيقتك واعادكما الى ملقا

فتبادل بليك وتنكر النظرات وهما مذهولان

وأدرك بليك جلياً مصدر الرسالة وتحقق أنها نتيجة مساعي الملكيين الذين قابلهم في

قصر الدون أميجو . على أنه لم يرد ان يذكر اسمك والى ثم التفت الى الضابط وقال : أظن

أن هنالك خطأ ما يا حضرة الضابط

فاجاب الكابتن هرمانوس : ما من خطأ البتة

فقال بليك : لكن أوراقنا غير ناقصة ومختومة كما يجب وبواسطتها يمكننا أن نساfer حيث نشاء

فاجابه الضابط : ان اوراقكما قد الغيت الآن ياسنيور بليك باعتبار هذه البلاد أي أنه

يمكنكما أن تسافرا بها في أسبانيا وليس في مرا كش الاسبانية

فقال بليك : ان اوراقنا تقول صريحاً أنه يمكننا أن نساfer حيث نشاء وقد أخذها لنا

رئيس ديوان الخارجية من السفير الاسباني في لندن

فاجاب الضابط : ربما كان الامر كما تقول ولكن تذكر ياسنيور أن الامر الوارد للحاكم العام هو من مصدر أعلى بكثير من السفير الاسباني في انجلترا
 فعرض عليك شفته وقال بغضب : أظن أنك بعد هذا ستقول لنا أنكما أسيران
 فاجابه الضابط : كلا لن يحصل ذلك مطلقاً فيمكنكما أن تجولا في المدينة حيث شئنا بشرط
 أن لا تجاوزا الاسوار ويجب أن لا تقربا من الابواب
 فقال عليك : وكم هي المدة المسموح لنا بمكثها في مليله
 فاجاب الضابط : يومان فقط ياسنيور عليك - غداً والذي بعده ويوم الخميس مساء تعادان
 الى ملقا بياخرة البريد

فقال عليك : هذا انتهك لحرمتنا فسأرفع الامر الى السفارة وسأذهب وأقابل الحاكم العام
 فقال الضابط : لا فائدة من ذلك ياسنيور : فالحاكم العام يرفض مقابلتك لا عند
 أوامر صريحة بهذا الشأن والاوامر يجب أن تنفذ
 فاحتمل عليك غيظاً وأخذ يتهدد ويتكلم بحدة ويقول : ان من كان سببا في ذلك سيقع في
 مشكل عظيم اني سأشكو أمري على لسان البرق الى وزارة الخارجية في لندن ووزير الخارجية
 الذي هو صديقي الخاص سيرسل احتجاجاً شديداً الى حكومة مدريد
 فلم يفه الكابتن هرمانوس بكلمة بل أصغى اليه بكل هدوء وهو بهز منكبيه تارده وينسهم أخرى
 ثم رفع عليك صوته وقال : نعم ان من كن السبب في ذلك سيقع في مشكل عظيم . فانا
 لن أسكت على اهانة كهذه وستطلب انجلترا ايضا كاملا . وايت شعري لماذا تلغى الرخصة
 المعطاة لنا للسفر الى بلاد ريف ؟ لاريب يا حصرة الضابط أن هنالك دسيسة في الخفاء . ان لي
 أعداء من الحزب الملكي ولا شك أن الاوامر التي أرسلت الى الحاكم العام كانت بواسطة مساعليهم
 ونفذهم في مدريد

ثم توقف عليك عن الكلام اذ عرف انه قد تكلم أكثر مما يجب . فلم يقدر الكابتن
 هرمانوس عندئذ ان يتمالك نفسه فضرب بيده على قبضة سيفه وأبرقت عيناه من الغضب .
 ثم عاد فبهز منكبيه وقال : انك واهم - وكلام الجنون الذي ذهت به لايهم . وسواء صدقتني أم
 لم تصدقني فالذي يوجب منعكما عن الذهاب الى بلاد الريف هو أسباب سياسية . وبما أنك قد
 تهددت بعدم الاصفاء الى أوامر الحاكم العام والاستهزاء بها فيجب أن تمكث أنت وزفيقتك
 في الفندق إلي ان تعودا إلى ملقا واذا حاولتا الخروج من الفندق قسيلي القبض عليكما وترسلا

الى السجن العسكري . أفهمت ذلك جيداً ياسنيور بليك ؟ استودعك الله . ثم انحنى ودار إلى الباب وخرج . وسمعا وقع خطواته وقرقرة سيفه على السلم وهو نازل . ولما انتظم الصوت قال تنكر : لمن الله حظنا فان هذا كافٍ يستفز القديسين ويهيجهم ولكن لا بأس . فلي كل حال ما كنا ذاهبين الى الريف

فقال بليك . ولماذا ؟

فاجاب تنكر : لانك والس لم يجاوزا مليه . وأنا اعتقد أنهم قد وقفوه ولم يسمحوا له

بالسفر

فقال بليك : كان يصح ذلك لو ان أوامر مدريد وصلت اليهم في وقتها . وأنا اعتقد أنهم لم تصل وانك والس قد سبقنا بيومين وخلف أعداءه يعتقدون انه مختبئ في طليطلة فقال تنكر : أنظن إذن أنه في الريف الان ياسيدي ؟

فقال بليك : قد يكون هنالك وقد يكون في السجن العسكري هنا : سأ كف تارازكون ليستقصي لنا الحقيقة فإذا كان والس قد غادر المدينة تبعناه

فقال تنكر : تبعناه ؟ وكيف يتأتى لنا ذلك ونحن اذا خرجنا من الفندق التي القبض علينا ؟ فاجاب بليك : لأعرف يا بنو إنما الذي أعرفه اننا لن نكون في باخوة البريد حينما نساfer الى ملقا يوم الخميس مساء . نعم ان نكون اذا كانك والس قد خرج من مليلة . وسنجد سبيلا اليه ولم يتم بليك جلسته لانه سمع وقع أقدام أمام الغرفة . ففتح الباب فدخل جول تارازكون صاحب فندق اسبانول . وكان جول متوسط القامة ذا الحية كثة فأغلق الباب وقل - أريد ان اكلمك ياسنيور بليك فسمح لي بذلك لانك صديق قديم لي . لما رأيت الضابط الاسباني صاعداً إلى غرفتك انسلت وراءه وسمعت حديثه جميعه من غرفة مجاورة . فانت الان في مأزق حرج . انت تريد أن تسافر الى الريف وهم يمنعونك . اليس الامر كذلك ؟

فقال بليك : نعم هو كما تقول وسأ اكلمك بحرية وصراحة ياتارازكون لاني واثق بك اذا افضيت اليك بالسر . لقد اتينا الى مليلة لنبحث عن رجل انجليزي هو صديق لي . وقد كان ذاعباً الى بلاد الريف فأردنا ان نتبعه ولكننا لانعلم هل قد ذهب أم لا يزال هنا في المدينة . العلك

تعلم شيئاً عنه ؟

فقال جول تارازكون : وما اسم هذا الرجل ؟

فاجاب بليك : ريشارد والس

فقال جول : ذلك ماظننته

فقال بليك : أسمعتم به اذن ياتاراز كون؟

فقال جول : نعم بكل تأكيد

فقال بليك : اهو في مليلة بعد؟

فاجاب جول وقد رفع أصبعه الى فمه : كلا ياسيدي . لقد سافر

ثم انتقل تاراز كون الى آخر الغرفة فجلس وأشعل لفافة من التبغ وقل بصوت منخفض :

سأقول لك كل شيء - أنت تعلم ياسنيور بليك انني حينما كنت في الجزائر قلما قاتني شيء لم أعلم به مما كان يجري حولي أو في المدينة . كذلك حالي هنا منذ وطئت قدمي أرض مليلة . وقد ساعدت من وقت الى آخر كل من أراد زيارة الريف من أهل أوربا كما ساعدت أيضاً أحياناً من أراد أن يبيع الريفيين سلاحاً وذخيرة مع ان ذلك ليس من شأني . وأنا أرسلهم دائماً الى صديق لي يدعى « رحاباً » وهو شيخ مغربي عرفته وعرفني . ورحب هذا يعرف المدينة معرفة سرية لا يباريه فيها أحد من الأسبان . فهو يهرب الأشخاص من الاسوار بعد ما يكون قد أعد لهم الخيل فيركبونها وينطلقون وذلك مقابل جعل يتقاضاه منهم - أما ريشارد والس . فانا نفسي لم تقع عيني عليه ولم أعرف انه كان في مليلة وانما علمت انه نزل الى البر هنا منذ يومين وبعد وصوله بساعة تلقي الحاكم العام رسالة برقية من مدريد تأمره بوقفه ولكن الجنود الأسبان قلبوا المدينة رأساً على عقب يبحثون عنه فلم يجدوه . والى الآن لم يقفوا له على أثر . وليس ذلك بعجيب فاني - ثم توقف عن الكلام وقهقه . . .

لقد سمعت القصة من رحاب نفسه الذي رأيته في هذا الصباح . ويظهر ان الميوس والس كان يعرفه معرفة جيدة وانه حالما وصل الى مليلة ذهب رأساً اليه وقابله . وكان قصده الذهاب الى مركز قيادة الشيخ عبد الكريم وذلك أمر ليس بالهين لان الشيخ عبد الكريم الذي هو القائد العام لجميع قبائل الريف النائرة لا يستقر في مكان واحد . بل ينتقل من مكان الى آخر . ولكن « رحاب » عمل ما قدر عليه وفي تلك الليلة هرب ريشارد والس من المدينة وأرسله في طريقه مصحوباً بدليل .

وكان بليك وتشكر يصغيان الى حديث تاراز كون باهتمام شديد . ولما أتم حديثه نظر أحدهما الى الآخر بارتياح وسري عنهما قليلاً لأنهما رأيا طريقاً للتغلب على الصعاب العظيمة التي كانت تعترضهما لاحاق بدك والس . على انهما أدركا ان مسألتهم ليست سهلة كما أنه

وان العقبات في سبيلها أكبر بكثير

فقال بليك: ان حسن حظنا هو الذي ساقنا الى فندقك ياتاراز كون: فالذي فعله صاحبك «رحاب» مع المسيو والس يستطيع أن يفعله معنا. أفلا يستطيع أن يخرجنا من المدينة؟ فأجاب تاراز كون: بالطبع. لقد خطر لي ذلك. فأنا سأفعل في مسألتك كل ما في طاقتي.

فقال بليك: - شكراً لك ياتاراز كون. أرسل الى «رحاب» برسالة منك أو تكلم أنت معه بالنيابة عنا.

فقال جول: انني أخشى ان في الامر صعباً كبيراً

فقال بليك: - ولماذا؟

فأجاب جول: لان مسألة فرار المسيو والس قريبة العهد جداً والجنود لانزال تقتش المدينة عنه وقد جازف رحاب في التهريب كثيراً حتى أصبح خائفاً قلقاً. وقد قال لي في هذا الصباح انه يخشى اشتداد ولاة الامور الأسبان فيه. فياليتكم تنتظرون أسبوعاً أو نحو ذلك

فقال بليك: أسبوعاً أو نحو ذلك؟ ان ذلك غير ممكن اذ يجب أن نخرج من مليلة.

فالكابتن هرماتوس يخشى أن نهرب. فاذا بقينا هنا الى الصباح فربما قبض علينا وأخذنا الى السجن.

فقال تاراز كون: انه كذلك. فان الالهجة التي كلمكم بها لم ترق لي

فقال بليك: يجب تدبير قرارنا هذه الليلة حتماً ويجب أن يساعدنا الشيخ رحاب ويأخذ أجرته

فقال جول: أخشى انه سيطلب مبلغاً كبيراً من المال يا سنيور بليك

فقال بليك: ان يكون ذلك مانعاً فانا راض بان أدفع له مبلغاً معتدلاً اذا أخرجنا من المدينة

فقال جول: ربما يرضى لو دفعنا له مبلغاً يغريه وقد يستطيع ان ينجز كل شيء قبل الصباح

فقال بليك: اذن فاذهب اليه في هذا المساء وانفق معه كما يتراءى لك

فقال جول: هنالك صعوبة ياسيدي فانا ورحاب نستعمل الخنزير الشديد في مانعنا ولا

نقابل الا حينما ياتي الى هنا ليشرب شيئاً ولا يحسن أن نشاهد معاً في محل آخر. وأنا لا أقدر

أن أخفي لحيتي فهذه البحية وهذان الشاربان يفضحاني ايما ذهبت وليس في العالم شيء يغريني

(ستأتي البقية)

في بلاد الريف

(٣)

بالتخلص منها . وبالحقيقة لا ارى طريقاً لمقابلة رحاب قبل يوم أو يومين . فضلاً عن أنه ليس الآن في منزله بل قد ذهب الى قهوة (اللصوص العشرة) حيث يقضي كل يوم بعد الظهر والمساء . واذا أرسلت من يدعوه الى الفندق فسثير بذلك الشبهات . كلا أن ذلك غير ممكن . فقطب بليك حاجبيه حيرة وقال : أنتقدر أن تأتيني بشباب وطنية وصباغ أسمر ؟ فقال تراز اكون : ولماذا ؟ أتريد أن تنكر وتذهب انت نفسك الى القهوة ؟

فقال بليك : نعم ولماذا لا ؟ فلا خطر في ذلك لاني أنكلم العربية جيداً أما قل لي كيف أعرف صاحبك رحاباً ؟

فقال جول : ليس الفكر رديناً يا سيدي . أما ما طلبت فليس في الحصول عليه من صعوبة فالصباغ الاسمر موجود عندي . وفي خزانة عندي ست بذلات كاملة من الثياب المغربية . وهي عندي لبيعها للذين يريدون دخول الريف متنكرين

فقال بليك : حسن جداً يا تراز اكون . اتفقنا على ذلك وأنا سوف - ونهض بليك قبلما يتم جملة وخرج الى الشرفة فاطل الى تحت ثم عاد فدخل الغرفة وعلى وجهه علامة الخوف وقال : هذا ما كنت اخشاه فان السكبتن جرمانوس قد أخذ حيطته للامر ووضع اسبانياً في الشارع يراقب باب الفندق ويحرسه

فقال تنكر : يا لله هذا ما كان ناقصاً

فابتسم تراز اكون وقال : لا تقلقوا يا سيدي . ديدبان اسباني ! ليس ثمة شيء أبسط واسهل من أن تخدع ديدباناً اسبانياً . اذ لهذا الفندق بابا في مؤخره وهو طريق يؤدي الى زقاق مظلم فقال بليك : أتظن انه لا يوجد ديدبان آخر بقر به ؟

فقال جول : كلا أنا متأكد انه لا يوجد . فكن واقفاً ولا تخف يا سنيور . فحالما نجيم الظلام يمكنك أن تذهب متنكراً في زي وطني الى قهوة « اللصوص العشرة » التي هي في ساحة بالقرب من « الكاسيا » وسأقول لك كيف تهتدي الى رحاب . قل له كلمة « مكة » فيعرف حالا أنك ذاهب اليه من قبلي فيأخذك الى منزله وهو قريب من القهوة وهناك تكلم معه واقنعه بان

يساعدك . أظن انه سيطلب مبلغاً كبيراً من النقود لانه سيتقاسمها مع آخرين فاذا كنت لا تبالي بالنفقات

ثم توقف ترأزا كون عن الكلام وقام لينصرف وهو يقول : انني ذاهب لاهيء لك العشاء وسأاتي بها اليكما . وبعد العشاء سألبسك أنا الثياب التي ستذهب متنكراً بها في رحلتك الى الريف وسألبس الغلام تنكراً ثياباً مثلها حينما تكون غائباً حتى اذا عدت من عند رحاب باخبار حسنة ورضى أن يهربكما من المدينة في هذه الليلة لا يكون تأخير

الفصل الخامس

التنكر بالثياب المغربية - الذهاب الى قهوة « اللصوص العشرة » - الانتظار الممل - مخاوف تنكر بليك يعود - الاخبار الحسنة - تدبير السفر - الخروج من الفندق - الى محل الملاقة

بعد ما غيم الغسق بنحو ربع ساعة خرج سكنتن بليك من فندق اسبائول وقد صبغ وجهه وعنقه ويديه وذراعيه بصباغ أسمر داكن ولبس ثوباً فضفاضاً وعمامة بيضاء وخفاً من غير كعب وتمت الثوب ثيابه العادية فانه حسب اذا تمكن هو والغلام من الوصول الى الريف اتها ان يحتاجا الى التنكر واخفاء كونهما انجليزيين وبعد أن زوده جُول ترأزا كون بالنصائح اللازمة وأوصاه بشدة الحذر نزلا سلماً واخرجه جُول من الطريق السري في مؤخر الفندق ثم عاد الى غرفة الجلوس فصبغ بشرة تنكر والبسه ثياباً مماثلة لثياب بليك ليهتم بشؤونه الخاصة بعد أن قال للغلام : لا تقلق يا بني فسينتهي كل شيء حسناً . أما تنكر فلم يقلق في بادئ الامر لانه كان واثقاً بان سيده في امان ولاخوف عليه فتمدد على المقعد يدخن افايف الدخان المغربي السوداء ويتصفح المجلات الفرنسية والاسبانية المصورة . وكان من وقت الى آخر يخرج الى الشرفة ويطل الى الشارع المزدهم ليرى هل الديدبان لايزال واقعاً على باب الفندق

وبعد مرور ثلاث ساعات اخذ يشعر بقلق ثم تحول قلقه الى جزع واشتدت حيرته ولهو على تلك الحال واذا بليك يدخل الغرفة وفي اثره جُول ترأزا كون . فلما وقع نظر بليك عليه قال له : مالك يا بني . أجزعت ؟ فأجاب تنكر : اقلعتني طول غيابك يا سيدي فما هو حظنا حسن ام رديء ؟ فقال بليك وهو يجلس : اخباري حسنة جداً . فاني تعرفت برحاب وبعد كلمات قليلة خرجنا من القهوة فأخذني في منزله وهناك قلت له ما اريد فرفض في بادئ الامر رفضاً باتاً وأقسم انه لن يجازف مرة اخرى بنفسه ويعرضها لاختار عظيمة كهذه . فعرضت

عليه مبالغاً من المال ليس بقليل فرفضه فزادته له فتردد هنيهة ثم لان عوده وطلب مبالغاً عظيماً جداً فلم أقبل لانه كان باهظاً جداً . وأخيراً قسمنا الفرق بيننا واتفقنا

ثم اعترضنا مشكل ثان وهو أن رحاباً لم يكن متناً كدماً هل يستطيع أن يهربنا في هذه الليلة أم لا فتركني في منزله وذهب الى قرية تبعد نصف ميل عن مليلة ليري هل كان ممكناً أن يكثرى حصانين ودليلاً . وبعد أن غاب مدة طويلة عاد وقال انه قد دبر كل شيء ولكنه لا يقدر أن يرسل معنا الدليل الذي أرسله مع دك والس لانه مريض وسيرسل بدلاً منه شاباً اسمه علي وهو يعرف الطريق الى قلب الريف ورحاب يثق بقوله

فقال جول تراز اكون — عسى أن تصدق ثقته به . فانه اذا اضلكما يا سنيور وقعنا في أيدي عصابة من اللصوص الذين يكمنون في الجبال قبل تافاروين

فقال تنكر : وكيف يخرجنا الشيخ رحاب من الاسوار يا سيدي ؟

فأجاب بليك : انه لم يقل لي

فقال تراز اكون : ولا أنا أعرف فانه سرٌّ لم يبيع رحاب لاحد به وكثيراً ما حيرني . حقاً

أن هذا الشيخ ثعلب مكار

فقال بليك — يجب أن تذهب الآن فقد قلت لرحاب اني سأذهب وأعود حالا برفيقي وهو ينتظرنا في محل بالقرب من قهوة اللصوص العشرة وسنجد الخيل والدليل في مكان بعيد ميلاً عن المدينة ونصل الى سكة الريف عند الفجر . أما امتعتنا فسنتركها عندك يا تراز اكون

فقال تراز اكون : لا بأس . اني مسرور جداً اذا أمكني أن أساعدكما . وأنا أرجو

يا سنيور أن تعود سالماً

فاستعد بليك وتنكر ووضع كل منهما مسدساً في منطقتيه تحت ثوبه وحمل بليك نقود الورق في كيس رقيق من الجلد المزيّن حول وسطه تاركا النقود الذهبية والفضية في حجاب صغير ثم التفت بليك الى جول وقال . هيا بنا يا تراز اكون

فقال تراز اكون : تمهلاً دقيقة يا سيدي . أريد أن اتأكد شيئاً . ثم خرج وأطل من الشرفة وقال . أن الجندي الاسباني لا يزال واقفاً يراقب . ثم نزل هو وزفيقه على السلم الخلفي الى الطبقة السفلى من الفندق وعبروا الحوش الى سقيفة فيها براميل نبيذ فارغة ومن هناك خرج بليك وتنكر من باب سرى الى زقاق مظلم متعرج وكان الهدوء شاملاً . فالتفت بليك الى جول وقال . أخشى أن يعتبروك مسئولاً عن هربنا

فهرز جول منكبيه وقال : لانهف فاتهم لا يقدررون أن يفعلوا بي شيئاً . ولكن أمتأكد انت ياسنيور أنك لن تضل الطريق في عودتك الى القهوة ؟
 فقال بليك : أعرف الطريق جيداً . وسأجد القهوة بكل سهولة فستودعك الله
 فقال جول : مصحوباً بالسلامة ياسنيور بليك . اننى اتمنى لكليكم حظاً سعيداً . ثم صافحها
 ووقف يراقبها الى أن غابا عن نظره فى ظلام الليل
 ثم قفل راجعاً فاعلق الباب ودخل التسقيفة وهو يقول انفسه ما أعجب الانجليز فان
 المجازفات هي الهواء الذي يتنفسونه وهم لا يعرفون للخوف معنى فلا عجب اذا ملكوا العالم

الفصل السادس

رحاب المغربي - عبور المدينة - الممر السري - خارج الاسوار - الدليل والحيل - في
 الطريق - السكة المفقودة - فزع على - اكتشاف مخيف - التفتيش عن ملجأ - الخرائب
 القديمة - بليك وتنكر بسقطان في شرك - الاسر والسلب

بعد نصف الليل بنحو ساعة وجد بليك وتنكر رحاباني جوار قهوة « اللصوص العشرة » .
 وكان هذا الرجل شخصاً صغير الجسم منحني الظهر منكش الجلد ولكنه نشيط سريع الحركة .
 فأمصاهما أن لا يبديا أقل حركة وسار بهما ليخترق المدينة التي كانت هادئة وشوارعها خالية في
 مثل تلك الساعة . فمروا بكثير من الازقة والشوارع التي تتصاعد منها الروائح الكريهة
 واجتازوا طرقاً ضيقة معوجة ذات انوار ضئيلة ولحوا من حين الى آخر شبابيك منارة تخرج
 منها اصوات الجلبة والقهقهة وانغام الموسيقى البلدية وتعثروا ببعض ابناء السبيل النائمين في
 الشوارع فأيقظوهم فهبوا من نومهم يشتمون

أخيراً وقف رحاب في زاوية شارع وأشار بيده قائلاً : انظرا ياسيدى
 فنظرا ورأيا امامهما على بعد نحو مائة خطوة منها بوابة مرتفعة مغلقة داخلية في سور المدينة
 يتدلى من أعلاها فانوس صغير يلقي باشعته على جوسقين صغيرين تحتها وامام الجوسقين
 ديدبانان واقفان بحرسان

فقال بليك : بكل تأكيد ان تلك ليست طريقنا
 فهرز المغربي رأسه وقال : كلا . لا هي ولا غيرها من البوابات

فقال بليك : وقد اكدت لي أننا لن نقاتل أحداً ولن نشق لنا طريقاً بالقوة
فقال المغربي : نعم لقد قلت لك الحقيقة . أننا لن نقاتل أحداً . فثق بكلامي وسترى كل
شيء حسناً . ومع أن نيابتهما البيضاء كانت ترى من خيث وقف الديدبانان فقد مروا جميعاً
من غير اكتراث وعبروا الشارع الى زقاق ضيق معوج ولبثوا سائرين مسافة ثم التفتوا الى
اليسار ودخلوا ساحة صغيرة وقفوا عند مؤخرها قليلاً ثم اجتازوا باباً أشبه بقنطرة الى بناء كبير
ذي قبة . وكان البناء جامعاً قد تهدم أكثره وأهمل منذ سنين
فقال رحاب : هذا هو المكان ياسيدي

فناموا طريقهم في الظلام بين مواد البناء المهتمة وساروا حتى بلغوا مؤخر البناء وحينئذ
أخذ المغربي مصباحاً كهربائياً من تحت ثيابه ووضع على الحائط المهتم ثم ضغط على قطعة من
حجر الصوان فدارت على محور خفي الى الداخل وانفتحت أمامهم نفرة فانسأوا منها جميعهم
واحداً فواحداً ووجدوا أنفسهم على قمة سلم وعلى جانبهم وفوقهم بناء يستترهم
وبعد أن أعادوا قطعة الصوان الى محلها نزلوا السلم على نور المصباح . ثم عبروا وانفقا وصعدوا
سالمآ آخر ووقفوا أمام جدار عظيم

فقال بليك : أظن أننا تحت استحكامات المدينة

فاجاب رحاب : نعم ولست أنت أول من اتيت به الى هنا من بني جنسك . ثم جثا على
ركبتيه وبعد أن اخفى المصباح تحت ثوبه أمسك بلاطة مسطحة في أسفل الجدار وزحزحها
فظهرت تحتها نفرة صغيرة لا تكاد تكفي لمرور كلب منها

ولم يمر المغربي في النفرة إلا بصعوبة ولما تبعه بليك وتنكر وجدا صعوبة أشد وخيل اليهما
أن المرور منها مستحيل وأنهما سيلصقان بها ولا يقدران على التماس لشدة ضغط جدارها وسقفها
على جسميهما . لكنهما بدلا كل ما فيهما من قوة واستعملا كل ما عندهما من حيلة . وكان
تقدمهما قيراطا فقيراطا . وبعد أن تحملا كثيراً من الألم والتعب تمكنا من المرور وصارا في الخلاء
خارج أسوار قليلة فوقهما القمر يرسل نوره الفضي وأمامهما الى مسافة بعيدة أدغال منخفضة
خفيفة . فالتفت الشيخ رحاب وقال : لا تقف يا سيدي لئلا يرانا أحد . تمهلاً قليلاً

ثم أخذوا يسرون بين الأدغال وهم تارة ينحنون وأخرى يزحفون على أيديهم وأرجلهم
ولما صاروا على بعد نحو ميل من المدينة قال لهما رحاب أن يقفا على أقدامهم . فوقفا
وعرفا أنهما قد أصبحا في امان

وبعد أن ساروا مسافة اخذوا ينحدرون من الارض المرتفعة الى شبه واد . فوصلوا الى جدول قد نشف ماؤه فوجدوا الدليل والخيل ينتظرونهم
 وكان الحصانان صغيرين أحدهما اشهب والآخر أبيض مرقطاً وعرفاهما أشعثان والسرطان مغربيان . أما الدليل على فكان شاباً خفيفاً في نحو العشرين من عمره ويكاد يكون عرياناً حينئذ التفت رحاب اليهما وقال : لقد أتممت ما علي من الاتفاق يا سيدي فاخرج بليك نقوده ودفع له أجرته التي نالها باستحقاق ذهباً انجليزياً . فلما رآها رحاب أبرقت عيناه فآخذها ووضعها في منطقتيه ثم قال : الله اكبر . ليحرسكما الله . يمكنكما الاعتماد على هذا الشاب والثقة به فقد أقسم لي أنه دليل ماهر وهو لا يجرؤ أن يكذب علي . وان يترككما قبل أن يطلعكما على الطريق الصحيحة التي توصلكما الى جنوب تافاروين . وبعد ثلاثة أيام تصلان الى بلاد عبدالكريم قائد الريف فتمتقيان فصائل من بعض قبائله . ولكن كوناه على حذر فانكما في بلاد تجوب فيها كتائب صغيرة من الفرسان الاسبانية وانتي أرجوان تصلا بسلام ثم مد رحاب يديه ورفع ابهامه الى فوق وقال : مع السلامة يا سيدي . ليكن الله معكما . ثم عاد أدراجه نحو المدينة

فامتطى بليك وتنكر جواديهما وسارا في أثر الدليل وقد ولي الجميع وجوههم شطر الغرب وكان الحصانان يجريان بسرعة وأحياناً يخبان خبيئاً ولا علامة للتعب عليهما وعلي يسير أمامهما بعزم وقدم ثابتة فسارا كذلك نحو ساعتين ميلاً بعد آخر وكانت طريقهم بين تلال رملية منخفضة والبحر قريب منهم يهب هوائه المالح على وجوههم وكانوا يبصرون من حين الى آخر مياه البحر المتوسط اللامعة الفاصلة بين أوروبا وأفريقيا . وإلى الجنوب منطقة مقفرة موحشة يلها سلسلة من الجبال لا تكاد ترى لبعدها وهي ممتدة الى الصحراء العظيمة

ثم تركوا التلال الرملية والتفتوا فأخذوا يسرون جنوباً بين الصخور والادغال وبعد أن قطعوا نحو ثلاثة أميال وقف الدليل بغتة فجذب بليك وتنكر اعنة جواديهما فوقفا فسأل بليك علياً الذي كان واقفاً جامداً كأنه يصغى الى صوت وقال : مالك ما الذي تسمعه ؟

فاجاب الشاب : سمعت صوت حوافر خيل على الحجارة

فقال بليك : انا لم اسمع شيئاً

فاجاب الشاب : أنه كان صوتاً خفيفاً جداً ياسنيوز وسمعي أحد من سمعك

فقال بليك : صدقت فها قد سمعت انا ايضاً . ولكن مامعنى طواف الخيالة في هذا المكان وفي ساعة كهذه من الليل ؟

فقال الشاب : انهم لصوص من قبيلة الشيخ « بن ابو » ياسنيور
فقال بليك : لقد حذروني منهم ونحن في مليلة فهل نحن في بلاد « بن ابو » ؟
فاجاب علي : نعم وقد اجتهدت أن نجتارها قبل طلوع النهار ولكن —
ثم توقف وأخذ يصغي هنيهة ثم قال : انني لا اسمح شيئاً الآن . ولكن مع ذلك فلا حسن
أن لا نتقدم اكثر قبلما نتحقق هل نعمة من خطر أم لا . فقفا انما هنا لاذهب وأرى
فقال بليك : حسن . لقد حذرونا من هؤلاء اللصوص فلا نريد أن تقع في أيديهم .

فقال الدليل : واذا وقعنا في أيديهم ياسنيور فليس لنا الا الذبح
ثم اسرع الى الجانب الآخر من الوادي الضيق الذي كانوا فيه وتسلق قمة منحدر هناك
ثم سار بضع خطوات الى يسار القمة وتوارى

وبعد ربع ساعة ظنها بليك وتذكر سنة عاد الدليل وهو يلهث من شدة الركض وقال :
الامر كما ظننت ياسنيور فقد رأيت أثرهم على ارض ناعمة هناك . اثر « بن ابو » ورجال قبيلته
ورأيت آثار حوافر الخيل على العشب وقد علمت انهم مروا منذ مدة وجيزة وساروا في الجهة
التي كنا سنتوجه اليها

فقال بليك : ذلك من سوء حظنا فاذا سرنا في الطريق عينه فربما قابلناهم وهم راجعون

فقال الشاب : نعم أن الخطر عظيم
فقال بليك : دعنا اذن ندور ونسير شمالاً فنجتنب اللصوص . أنا أعرف ان الشقة
ستطول بك على الى أن توصلنا الى سكة حديد الريف ولكنني سأدفع لك عن ذلك ما يرضيك
فقال علي : بعد الشقة لا يهمني كثيراً ياسنيور فأنا قد تعهدت لرحاب بان أوصلكما وسافعل
ذلك ولكن لاحاجة الى النكوب عن طريقنا البتة

فقال بليك : وهل نبيت هنا ؟

فاجاب علي : كلا ياسنيور ليس هنا في الخلاء فان ذلك خطراً وانما نبيت في احدي
الخرائب القريبة التي أعرفها حتى شروق الشمس فيكون اللصوص حينئذ قد عادوا الى معلقهم
الذي هو على بعض مسافة الى الشرق

فوافقهم بليك على ذلك وقال : ان رأيك حسن فخذنا الى هذا الحبل

فقال تنكر : الافضل أن نستريح قليلا يا سيدي فان الركوب قد اتعبنا ثم تبعوا الشاب وبعد أن ساروا قليلا الى اليمين داروا الى الشمال ودخلوا فرجة في التلال ومشوا نحو مائة خطوة فوصلوا الى أرض منبسطة عليها خرائب ربما كانت حصناً ل أحد مشايخ المغاربة الاشداء ورجاله وكانت الخرائب قديمة جداً وقد غطت قسماً كبيراً من الارض والقمر يلقي أشعته على الجدران المتهدمة والابراج المستديرة . وهناك ممرات وأقنية وأروقة كثيرة جميعها مرصوفة بالحجر الرملي الاحمر وصفوف من الاعمدة بعضها قد تنكسر وبعضها لا يزال سليماً

ثم قال علي اتبعاني يا سيدي وانما اريكما أين نبئت . ثم سار أمامهما بين الحجارة المتهدمة وبقايا العواميد المتكسرة حتى وصلوا إلى فناء كبير محاط من جوانبه الاربعة بايوانات عالية وهنا جذب بليك وتنكر أعنة جيادهما فوقفا ولم يكادا يترجلان حتى سمعا صراخاً عالياً وابصرا نحواً من عشرين رجلاً مغربياً قد خرجوا من الايوانات وأحاطوا بهما فصرخ تنكر قائلاً : لقد وقعنا في الشرك يا سيدي

وصاح بليك قائلاً : سأرحي هذا الدليل الخائن بالرصاص . ثم مد يده وأخرج مسدسه من تحت ثوبه ولكنه لم يكذ يخرجه حتى وثب علي عليه واتزعه من يده . أما تنكر فقبلاً يخرج مسدسه أحاط به ستة من المغاربة وأمسكوا بتلابيبه وهجم مثلهم على بليك وضيقوا عليه الخناق فقاوم بليك وتنكر خصمهم وقاتلهم مقاتلة الابطال وكانا يكيان لهما اللطات يميناً وشمالاً ويلتقيانهم على الارض واحداً بعد الآخر . لكن الكثرة قويت عليهما فوقعا على الارض وأخذ المغاربة يرفسونهما ويضربونهما ضرباً شديداً حتى أغشي عليهما . ولما افاقا وجدا ايديهما مربوطة الى أرجلهم ففتشهما المغاربة وأخذوا كل ما معهما من الاوراق والنقود ما عدا كيس الجراب المزيت المربوط على خصر بليك فانهم غفلوا عنه

وكان هؤلاء اللصوص قبيحي المنظر ذوي لون أسمر وملتحين وعلى وجوههم علامات الغدر والحيانة وعليهم ثياب سمراء خشنة

أما الشيخ « بن أبو » نفسه فكان ضخماً الجثة مستدير الوجه ممتلئها ذا لحية شعناء وثيابه تمتاز عن ثياب الآخرين . فتقدم الى بليك وتنكر ونظر اليهما بشراسة وقال بالاسبانية : انكما انجليزيان وأنا لا أحب أن يأتي الانجليز الى بلادى . أسألكما عن سبب مجيئكما ثم أقطع رأسيكما فقال له بليك بجرأة - لا تقدر أن تلحق بنا أذى لاننا ذاهبان الى بلاد الريف بمهمة

فضحك الشيخ وقال : لا واجب علي لعبد الكريم فإنه ليس مولاي ولا سيدي

فقال بليك : يجدر بك أن تطلقنا والا ندمت

فقال الشيخ : سأفعل بكما ما أريد وأنا متأكد أن الطيور ستنظف عظامكم جيداً
ثم ضحك ودار وذهب . أما على فكان قد توارى أما لأنه استحي أن ينظر الى وجه الذين
عذر بها وخانها اولانه عاد الى قريته . أما الجوادان فقدادهما بعض الرجال الى مكان غير
معروف . والرجال الآخرون أخذوا بليك وتشكر الى ابوان فجلسا على سجادة واسندا ظهرهما
الى الحائط

آل سفر بليك وتشكر الى آخره محزنة فجلسا على البساط قانطين وشبح الموت ماثل أمام
اعينهما لانهما قيداً عندهما ودفعاً بحيلة شيطانية الى الشرك ووقعا فيه

فقال تشكر : لا بد أن يكون الدليل شريكاً للصوص وأنه قد عذر بغيرنا أيضاً وأنهم بهم
فسلبوهم وقتلوهم . فقال بليك : ياله من وعد لئيم فإنه صنف لنا قصة لم يمكننا بالطبع الا ان
نصدقها ولما تركنا أسرع الى هنا وأشار على رجال العصابة بان يأخذونا على غرة فلا يكون
عندنا فرصة لنرمي أحدهم بالرصاص

فقال تشكر : نعم ان الامر دبر بكل مهارة . ومن الغريب أنه لم يخامرنا شيء من الشك .
أفتظن أن « بن ابو » يقصد قتلنا حقيقة ؟

فقال بليك : نعم أظن انه يقصد ذلك حقيقة فإنه يخاف أن يطلق سبيلنا فنذل الاسبان عليه
فقال تشكر : اذن أفلا امل لنا ؟

فقال بليك : الظاهر أنه لا امل لنا ولكن يجب أن ننظر فاننا قد نجونا من ورطات
كثيرة وقعنا فيها وربما وجدنا ما ينجيننا من هذه الورطة أيضاً
فقال تشكر : قد كنا نحمد لو لم تكن أيدينا موثقة

فقال بليك : سنجرب ان نفكها يا بني ولكن ليس الآن

وكان الظلام لا يزال خفياً . وفي وسط الفناء نار موقدة قد جلس حولها « بن ابو » وعصابته
ياكلون ويشربون . وكان بليك والعلام جالسين غارقين في بحر من الافكار وقد استحوذ عليها

الحزن ودھمهما الجوع والتعب والنعاس فإنه لم يعمض لهما جفن منذ اربع وعشرين ساعة
وبعد هنيهة قال بليك : الحمد لله انهم لم يأخذوا البيبة والدخان لو قدر أن ادخن فربما

خطر لي ان ..

نم توقف عن الكلام لانه رأى تشكر قد نام فتشأب وغلب عليه النوم هو أيضاً

الفصل السابع

اليقظة - فرصة للهرب - حبسهما في برج - نذير الخطر - « بن ابو » وعصابته يهربون -
كتيبة الفرسان - تهلكة جديدة - الجنود الاسبانية في المعسكر - انتظار الظلام - تجربة
مخطرة - بليك وتنكر يهربان

انتبه بليك لشد ذراعه فجلس وفرك عينيه ومد ذراعيه المتألمتين فتذكر كل شيء . ورأى
تنكر مستيقظاً يدهم له فتعجب ولم يدر ما الذي جعل الغلام جذلاً كذلك
وكانت الشمس مشرقة ونورها يسطع فنظر بليك من محله في الايوان الى فناء المكان ورأى
رجال العصابة نائمين حول رماد النار الهامدة وقد التف كل منهم بوشاح
فراقبهم نحو دقيقة ثم التف الى تنكر فذهل إذ رأى يديه سائبتين وانقشع حالا ما كان
على قلبه من سحاب الحزن وقال : هذا اذن ما يجعلك تبتسم يا بني
فاشار الغلام بالايجاب وقال بصوت منخفض : لقد استيقظت منذ نحو ساعة وأخذت اشتغل
بجذب يدي وشدهما ومنذ نحو دقيقة ارتخت الحبال قليلا فسالت يدي منها
فقال بليك : أحسنت ويا ليتك فعلت ذلك من قبل

فاجاب تنكر : لا بأس ان كنت قد تأخرت والآن دعني افك وثاقلك لنهرب فهؤلاء
الرجال نائمون : أريد « بن ابو » ان يقطع رؤوسنا ؟. ليفعل ذلك اذا استطاع
فقال بليك : ان نجائنا غيرا كيدة يابني فانه وان كانت الفرصة سانحة فاننا لا نزال في قبضة يدهم
فقال تنكر : وما رأيك يا سيدي ؟ أنهرب على ارجلنا أم نأخذ الجوادين ؟
فقال بليك : نأخذهما اذا قدرنا . ولكن يجب أن لا نضيع الوقت في الكلام فأسرع وفك وثاق
ثم أدار بليك جسمه للغلام فأخذ هذا يعمل بخفة وبعد قليل فك الحبال

فنهض الاثنان بحذر وأخذوا يسترقان الخطى ولا يجرؤان أن يتنفسا وانسلا من الايوان ثم
وقفا والقبيا نظرة على ما حولهما ولما صارا على بعد خطوتين من الرجال رأيا الى شألهما باباً بين
ايوانين فدارا نحوه ولكن قبل أن وصلا اليه استيقظ أحد المغاربة ورأهما فصرخ صرخة عظيمة
أيقظت جميع الرجال فنهضوا نهضة واحدة وكان « بن ابو » أول من وثب فخار كالثور واختطف
من منطقته طبنجة من الطراز القديم محشوة بالبارود والرصاص وصرخ : « يا لله ! السكبان
الانجليزيان ! مفكوكا الوثاق ! لماذا لم يوضع عليهما حرس !

ثم انطلقت الطبنجة وخرج منها صوت كالرعد وكان بليك وتنكر قد دخلا الباب وأخذا
يركضان . وساعدهما الحظ قليلا فأجتازا الباب وخرجا منه الى فناء صغير ثم دخلا رواقا وانحرفا
منه يساراً ثم يمينا ومع ذلك كانا لا يزالان في دائرة الاسر

ثم سمعا صياحا عظيما وجلبة شديدة فان المغاربة أخذوا يحرون وراءهم ككلاب الصيد وفي
مقدمتهم « بن ابو » وصوته مرتفع فوق أصوات جميعهم وهو يقول

« بسم الله ! اجمانون ؟ لا تأتوا جميعكم وراي لينذهب بعضكم الى ناحية واخرون الى
غيرها ! أدركوا السكابين الانجليزين !

ثم رأى بليك وتنكر فاطلق طبنجة عليهما ثانية فأخطأهما ودوى صوت البارود دويًا
شديداً هز أحد الاعمدة المتداعية حتى كاد يهوي متحطماً

فقال تنكر : آه لو أمكننا الوصول الى الجوادين

فقال بليك : لا أظن ذلك ممكننا فانهم سيطوقوننا ويرغموننا أن نسلم قبل أن نتجو منهم
فهم الغلام ما يعنيه بليك فانهما كان في فنج في وسط حصن قديم وفي جزء لا يزال سليما
تقريباً . وعبثاً حاولا أن يجدا طريقاً أو منفذاً الى الخارج . على انهما ظلا يعدوان ويدوران يمينا
وشمالا حتى انتهيا الى مكان لا منفذ له فعادا بكل سرعة وهما يسمعان الصياح يعلو والجلبة تشتد
وكاد المغاربة يدركونهما فدخلا ممراً ضيقاً انتهى بهما الى الخارج مرتفع مستدير الشكل
متين البنيان لم تقو عليه حوادث الايام وفي قاعدته باب يتصل بسلم لولبي . ولما رأى بليك انهما
لا يقدران أن يهربا الى مكان آخر وانهما اذا رجعا قبض عليهما المغاربة قال : تعال يا بني فلم
يبقى أمامنا الا سبيل واحد . ثم دخلا البرج واخذ يصعدان سلمه اللولبي ويدوران من بسطة
الى اخرى الى أن وصلا الى قمته فكانا على ارتفاع مائة قدم من الارض وفي غرفة صغيرة
مستديرة ذات سقف مخروطي لها ستة شبابيك في جدرانها القوية . وفي أرضها كومة من الحجارة
المستديرة قد علاها الغبار واخضر لونها اطول عهدها وحجم كل منها نحو ثلاث كرات مدفع
فلما رآها بليك أبرق وجهه وأشار اليها وقال :

لقد اتي بها الى هنا في الزمن القديم لاجل الدفاع وسنستعملها نحن أيضاً لذلك

فقال تنكر : أن ثلاثاً أو أربعاً من هذه السكرات نخلصنا من « بن ابو » —

فقال بليك : لقد جاءوا ! وفي الواقع أن « بن ابو » كان قد أخذ يصعد السلم وبين اسنانه سكين
قد عض عليه وفي يده الواحدة سيف وفي الاخرى طبنجة . فخرج بليك ككرة من السكرات

الى باب الغرفة ودفعها بقوة من رأس السلم فأخذت تندرج الى تحت . فصرخ الشيخ والتي
سلاحه وقفز ولم تخطه النكرة الا بنحو قيد شعرة على أنه فقد توازنه وسقط على ظهره وهو
يتدحرج الى أن اختفى في إحدى دورات السلم
فقال تنكر : لقد نال منها ما يكفيه

ولكن بعد أن تدحرجت النكرة الى آخر السلم اذا « بين أبو » قد ظهر ثانية وهو يصرخ
كالجنون ووراءه جماعة من رجاله

فدحرج بليك كرة ثانية فنزلت بقوة ولولم يسرع المغاربة ويلتصقوا بالجدار لقتل أكثرهم
ولما رأوا أن في صعودهم خطراً عظيماً عولوا على الرجوع فاخذوا ينزلون السلم وهم يلعنون
او يتوعدون ثم خفت جلبتهم عند آخر السلم ولم يسمع لهم صوت
فقال بليك : أظن أنهم ان يعودوا فيما بعد

فقال تنكر : وما فائدتنا من ذلك فاننا في آخر الامر اما أن نسلم او أن نموت من الجوع
والعطش

فقال بليك : نعم أما هذا او ذاك فنحن في حالة حصار . ثم التفت وقال : انظر يا بني الى
الشمس فان الوقت قرب الاصيل ويجب أن نكون قد نمنا جزءاً عظيماً من النهار

فاجاب تنكر : نعم ولكنني كنت أظن أن الظهر لم يكن بعد
واذ رأيا أنها في أمان مؤقت وأن المغاربة لا يهاجمونها في النهار انتعشت نفسها قليلاً

فاطلا من شبابيك الغرفة وجالا يبصرهما في كل جهة يستكشفان الموقع وما حوله
ولما كان محلهما على ارتفاع عظيم جداً أمكنهما أن يبصرا ما حولهما الى مسافة اميسال وأن

يريا ولو بغير وضوح تلال الرمل الصفراء ومياه البحر الزرقاء الى الشمال

أما الى الشرق والغرب والجنوب فقد كانت البلاد تتألق بأشعة الشمس الحارة ولا يخفى

أن مرا كش الاسبانية تبخلها الوهاد والصخور الرومانية ومعظمها مجذب قاحل وجزء صغير

منها تكسوه الغابات الخفيفة وكان على الارض التي بالقرب من بليك وتنكر خرائب الحصن

القديم بالقرب ممتدة الى كل جهة وعند قاعدة البرج الى الشرق ومن ناحية مدينة مليلة فناء

مربع فيه بعض الشجيرات من النخل وغيره وفي هذا الفناء جياذ « بن أبو » وعصابته وبينهما جوادا

بليك وتنكر والى يسار الفناء جنوباً بوابة في الجدار يوصل منها الى ممر تعلوه خضرة وحوض من

الماء يصب فيه جدول صغير وخول الحوض شجيرات من الدفلى وبعض أشجار الزيتون المقطوعة

فقال تنكر : ان مرأى هذا الجدول يذكرني بعمشي الشديد فان في ناشف جداً . وها
جوادانا مع الخيل مسرجان وملحجان فياليت عندنا حبلاً نتدلى به الى الارض
فقال بليك : أنا أيضاً عطشان وجائع وستكون حالنا غداً اصعب جداً من دون طعام ولا
شراب وما أحسب اعداءنا يتركوننا وشأننا فان « بن ابو » يريد موتنا لان الميت لا ينقل
خبراً ولذلك فهو ان يرفع الحصار عنا

فقال تنكر : واذا فرضنا وجود شقوق في البرج من خارجه وأردنا أن نتسلقها وننزل
فسيرونا قبلا نصل الى الارض . كذلك اذا اسلمنا في —

فصرخ بليك : ارجع الى الوراء ! اسرع !
وعندئذ سمعا طلقاً شديداً وأزير رصاصه مرت بالقرب من خد بليك وهو يحني رأسه .
وفي أقل من لحظة كان الاثنان جالسين القرفصاء في أرض الغرفة بعيدين عن الخطر
فقال بليك : انني لمحت الشخص الذي اطلق النار وأظنه زحف الى محل ملائم لاطلاق
النار علينا بينما كنا ننظر الى جهة ثانية

فاجاب تنكر : يجدر بنا اذن ان نضطجع على الارض
وعقب ذلك بضع طلقات ثم تساقط الرصاص من كل الجوانب فكان يصيب الجدران
ويتساقط في أرض الغرفة . ثم ينقطع بضع دقائق ليعود ثانية . وأخيراً انقطع بناتاً فاجتمع في
أرض الغرفة كثير من قطع الرصاص الملتوية المسطحة
وبقي بليك وتنكر نحو نصف ساعة وهما ممدودان في أرض الغرفة لايجرآن على الوقوف
خوفاً من أن يرهما أعداؤهما مع ان اطلاق النار كان قد انقطع وكانا بالقرب من الباب يرقبان
السلم حذراً من خطر يفاجئهما . وبعد هنيهة قصيرة سمعا صراخاً عظيماً من كل ناحية يندرج بالخطر
فوقف بليك على قدميه وقال : لاتحرك يا بني

ثم انسل الى أحد الشبايبك الشرقية وتطلع بكل احتراس . ثم نادى تنكر وقال : تعال
انظر فأطلا الى أسفل فرأيا « بن أبو » ورجاله في القناء تحتملهم منهمكين يركضون الى هنا وهناك
بكل عجلة وينادقهم معلقة بمناظيرهم . ثم قبضوا على أعنة خيلهم وأخذوا يثبون الى السروج .
ولم يلتفت أحد منهم الى البرج كأنهم في جزع شديد . وبعد بضع دقائق كانوا قد امتطوا اجسادهم
فخرجوا من الباب فساروا يميناً بجانب حوض الماء ثم أطلقوا الاعنة لخيلهم فأخذت تعدو في
البرية وكان فرار ابن أبو ورجاله بعجلة حتى أنهم تركوا جوادي بليك وتنكر ولم يأخذوها

فقال تنكر : ما الذي جرى يا ترى . لا ريب ان هنا لك أمراً قد أخافهم خوفاً عظيماً
فأجاب بليك وهو يشير الى الشرق : أنظر فان ذلك هو ما أخافهم فنظر تنكر واذ على
بعد ميل أو أكثر من ناحية مليلة خط أسود رقيق ملتو كالتمعيان يزحف نازلاً من قمة تلٍ
هناك . ثم لمع السلاح في نور الشمس وملأ صوت النفير الأرجاء فصرخ الغلام : انهم جنود
اسبانيول

فقال بليك : نعم انها فصيلة من الفرسان الاسبانية تبحث عنا وقد اقتفت أثرنا
فقال تنكر : لا أظن . فان الاسبان يعتقدون اننا لانزال في مليلة . كلا . انهم لا يبحثون
عنا ولا عن الريفين اذ لا يوجد أحد منهم في هذه البلاد وانما هم يبحثون عن الشيخ بن ابو
وعصابتة . فلنسرع ولنهرب . نعم لا أظن انهم اذا جاءوا الى هنا يجدوننا ولو سلكتهم سيأخذون
الجوادين ويتركوننا في مأرق

فقال بليك : لا أظن ان الجنود يأتون الى هنا بل سيذهبون لمطاردة المغاربة الذين رأينهم
يهربون . فلاحسن أن نبقى هنا الى أن تتاح لنا فرصة أحسن للهرب

فقال تنكر : نعم الاحسن أن نبقى لانه اذا خرجنا الآن فربما يروننا فلننتظر قليلاً
وظهر بعد قليل انه كان من الجهالة أن يتركا ملجأهما في البرج اذا لم تبحر الامور كما زعم
بليك . فان فصيلة الفرسان الاسبانية وصلت الى أسفل التل وكانت تقترب منها بسرعة ومع
انها رأت العصاية الفارة فانها لم تقصد مطاردتها والسبب على الأرجح ان جيادها كانت متعبة
وسواء كان السبب هذا أو غيره فان الفصيلة جعلت وجهتها الحصن القديم وأخذت تقترب
منه وبليك وتنكر بربقائها وهما مذهولان وبقدر ما كانت الفصيلة تقترب من الحصن كان بن
ابو وعصابتة يتعدون الى أن تواروا عن الانظار .

فقال تنكر : أرى ان الفصيلة ستبيت هنا هذه الليلة

فأجاب بليك : لاشك في ذلك

فقال تنكر : وما العمل ياسيدي . أنبقى نحن أيضاً هنا هذه الليلة ؟

فقال بليك . اذا أمكننا فسنخرج

وصارت الفصيلة على مسافة مائتي خطوة من الحصن وبليك والغلام بربقائها خلصة وهما
واقفان بجانب الشباك خوفاً من أن يراها أحد . فلما وصلت الى الممر المكسو بالأعشاب عند

الحوض وقفت بكلمة واحدة من ضابطها فترجل الفرسان جميعهم وجثوا على ركبهم بجانب الحوض وشربوا بلهفة شديدة وملاًوا قرب الماء التي معهم

ثم تركوا خيلهم تشرب واندفعوا جماعات جماعات من البوابة الى فناء الحصن يحملون أمتعتهم ولما دخلوا جفل الجوادان الايضان وأخذوا يعدوان فخرجا من البوابة واختلطتا بالخليل الاخرى فقال بليك : أعرفت الضابط يا بني

فاجاب تنكر : نعم انه الكاين هرمانوس . أفانت متأكد ياسيدي أنه لم يأت يقتش عنا فقال بليك : نعم انني متأكد فانه لم يخرج الا لمطاردة المغاربة

وكان النهار قد قرب من اخره والشمس نازلة في الغرب اسكن أشعثها لانزال محرقة وغرفة البرج التي هما فيها أشبه شيء بالفرن

وبقي بليك وتنكر عند الشباك اذ وجدا الحر هناك أخف . وكنا من حين الى آخر نختلسان نظرة مما يجري تحتهما . ولم يرفع أحد من الجنود نظره الى قبة البرج ولم يظهرأوا أقل اهتمام بالخرائب القديمة لان التعب كان مستولياً عليهم بل فكوا أحزمتهم وكوموا بندقياتهم وافرغوا ما في أجربتهم من الطعام والنبيذ

ثم تمددوا وعددهم نحو أربعين رجلاً على البلاط في ظل الشجيرات المتفرقة . أما الكاين هرمانوس وضابطان أصغر منه فذهبا الى شجرة تين وجلسوا تحتهما يدخنون . وكانت الخيل تنتقل من محل الى آخر ترعى العشب الاخضر بجانب الحوض

وأخذ الكاين هرمانوس ورفيقاه يتكلمون بصوت مسموع تقريباً وكانت بعض كلماتهم تصل الى آذان بليك وتنكر من حين الى آخر ومنها ظهر ان بليك كان مصيباً في ظنه فان الفصيلة الاسبانية كانت قد خرجت لتعقب اللصوص بن ابو وعصابتهم وتأديتهم وستذهب في الصباح في أثرهم فقال الغلام : ان ذلك أحسن جداً ياسيدي فلما منا فرصة سانحة للهرب بجوادينا في الليل

فاجاب بليك : سنجرّب ذلك بكل تأكيد واذا نجحنا اتجهنا جنوباً فربما نعرنا على الطريق الذي يؤدي غرباً الى بلاد الريف . فان ذلك والس قد يكون هناك الآن

فقال تنكر : نعم أظن انه هناك فان بن ابو وعصابتهم لم يقابلوه ولكننا في حاجة إلى الطعام والاسلحة النارية فمن أين نحصل عليها ؟

فاجاب بليك : يجب أن نذهب بدونهما ونشكل على البخت . فالجوادان الايضان نأخذهما لانهما ملكنا ولنا الحق في أخذهما . وأما الطعام والسلاح فلا أسرق شيئاً منهما من

الاسبان ولو أتيت لي الفرصة . ولا أطلق على الاسبان طلقة ولو كنت مسلحاً . وأريد أن أوضح لك جيداً أن

وتوقف هنيهة ثم استأنف حديثه وقال : انك غلام طائش خفيف العقل في بعض الاحيان ويجب أن تحذّر . تذكر دائماً أننا جئنا مرا كش الاسبانية بمهمة سلمية ولا ننتهي الى أحد الخصمين وعلينا أن نحافظ على الحياد بكل دقة . فاذا كان الريفيون يشكون مظالم الاسبان فان الاسبان بحاربون في سبيل المحافظة على مستعمرتهم الافريقية . ولهم في ذلك حق كما لانجلترا حق المحافظة على مستعمرة الساحل الذهبي . ان الامر لا يعني ان لا يجوز أن نميل الى أحد منها . كذلك لا يجوز لنا أن نسفك قطرة من الدم أو ان نقاوم الريفين أو الاسبان بقوة السلاح الا في حالة الدفاع عن حياتنا اذ نكون حينئذ على حق في مانفعله . وما أظن اننا نجد انفسنا في حالة كهذه

فقال تنكر : ولكن « بن ابو » وعصابته ؟

فاجاب بليك : تلك مسألة أخرى « بن ابو » وعصابته لصوص قنلة ولو اطلقنا النار عليهم وقتلنا بعضهم حينما هاجمونا لسكننا على حق فيما نفعل وكان ذلك عدلاً . أفهمت يا بني ؟ فلا تنس تحذيري هذا

ولم يغادر بليك وتنكر الشباك بل بقيا هناك والجوع والعطش قد أخذنا منهما كل مأخذ وكانا يرقبان ما تحتها وينتظران حلول الليل بفارغ الصبر

أخيراً مالت الشمس الى الافق فبرد الهواء وأخذ النسيم يهب علينا ثم غابت الشمس واختفى شعاعها الذهبي في ثنيات الجو ولبست الطبيعة ثوبها القاتم وسادها السكون وأوقد الجنود في الفناء تحتها ناراً واجتمعوا حولها ضباطاً وجنوداً ثم اخرجوا طعامهم واخذوا يأكلون يشهية عظيمة ويشربون باشتياق شديد

وكان الظلام حالكا ونبات آوى تعوي في الادغال البعيدة والخيل تصهل منزعة من عوائها

فقال بليك : هيا بنا فهذه احسن فرصة لنا فالظلام مخيم والجنود منهمكون بالعشاء . وبعد قليل يطلع القمر ويضع الجنود ديدباناً عند الخيل

(ستأتي البقية)

(المطبعة التجارية الكبرى بشارع عابدين حارة فايد رقم ٣)

في بلاد الريف

- ٤ -

فنزلا ينهسان طريقهما في السلم اللولبي المظلم حتى وصلا الى أسفل البرج . وبعد أن جالا كثيراً في الاروقة والممرات وصلا الى فناء الحصن الكبير الذي أسرها فيه المغاربة فوجدا فيه أشياء تركها هؤلاء حين فرارهم ففتشاهما فلم يجدا سلاحا لكنهما سرا كثيراً اذ وجدا كيساً صغيراً من التمر رابيقاً من الماء . فشربا واكلا حتى ارتويا وشبعا ثم وضعما ما بقي من التمر في جيوبهما وسارا بقوة ونشاط فعبرا خرائب الحصن الخارجية ووصلا الى الممر المؤدي الى الحوض ورأيا الجوادين سائبين أحدهما بجانب الآخر . وكان على جانب الممر الى الجنوب هضاب صخرية والى الشمال الجدول الصغير الذي يصب في الحوض وهو يخرج من فم واد يمتد الى الشرق . والى اليمين الطريق والبوابة الموصلة الى الفناء حيث كان السكاكين هرمانوس وجنوده قد عسكروا للمبيت . وكان الفناء قريباً جداً حتى اتهما كانا يريان الجنود يأكلون ويشربون وهم يضحكون ويقهقهون باصوات عالية اذ كانت خمر مراکش قد فعلت فعلها برؤوسهم أما المكان فكان خالياً ليس فيه ديدبان وعليه فيجب أن لا يضيعا دقيقة لأن حافة القمر كانت بارزة من الافق ونور القمر في أفريقيا أقوى بكثير مما هو في البلدان الاخرى فنظر بليك الى ما حوله هنيهة ثم قال بصوت منخفض : انتظري هنا فقال الغلام : احترس يا سيدي

فاشار بليك بالايحاب ثم ذهب يستتره الظلام متسللاً بين الخيل وهي ترعى وأخذ يربت أجنابها جواداً فجواداً . فلم تجفـل منه بل صارت تتحرك وتفسح له الطريق فوصل الى حيث الجوادان الابيضان وكانهما عرفاه فلم ينفرا فقبض على أعنتهما بهدوء وعاد الى حيث كان تنكر ينظره

وكان الجند جالسين الى الطعام وأصواتهم تملأ الفضاء فقال تنكر : لو فعلت هذا ما فعلته أحسن منك يا سيدي

فتجاهل بليك ذلك وقال : اننا لا نصعد التل فقد تندرج بعض الحجارة السائبة من تحت أرجلنا وينتبه الجنود . نعم لا يجوز أن نجازف بذلك . بل يجب أن نسير شرقاً بجذاء

التلال وبعدها نبتعد مسافة نصعد الى قممها ونتوجه جنوباً .
فقال تنكر : ونبحث عن الطريق المؤدية الى بلاد الريق
وقاد تنكر وبليلك جواديهما وعبرا جدول الماء وسارا متجهين الى الوادي . وبعد أن قطعنا
مسافة التفتنا الى الوراء فلم يريا أثرا للجنود الاسبانية

الفصل الثامن

سوء الحظ — فوق التلال — في نور القمر — انكشف السر — الجنود تتبعهما —
المطاردة الطويلة — المغاربة تخلصهما — بين ايدي قبيلة ريفية — مقابلة الزعيم
— النهمة — الانتظار المقلق — القائد حاجي بابا — الحكم بالموت

كان من المنتظر قبلما ينام الجنود الاسبان أن يوضع ديدبان في الممر ليحرس الخيل من
للصوص المغاربة . واذ لحظ الديدبان ان الجوادين الاربعة غير موجودين ظن انهما قد تاهتا
فلم يزعج نفسه بالتفتيش عنهما لانهما ليسا للفصيلة
هذا ما زعمه بليك وتنكر فظننا انهما في امان . خصوصا انهما قد قطعنا مسافة بعيدة فلا
خوف من مطاردتهما ومع ذلك قلنا انهما حينما قفلا راجعين بجانب الوادي زادا احتراسا فصارا
يسيران على الاماكن المسكوة بالعشب والطحلب النامين على جانب الجدول
وبعد أن سارا مسافة في نور القمر وصلا الى حيث يضيق الوادي كثيراً ويصبح كالشق
فلم يقدر أن يرا فالتفتنا الى اليمين وابتداء يصعدان منحدرًا وعراً لا شجر فيه ولا نبات
فتسلقاه بكل بطء واحتراس وهما يقودان الجوادين فوق الاماكن الصخرية ومع شدة احتراسهما
حدث عندما صعدا نحو ثلثي المنحدر ما لم يكن بالحسبان

ذلك ان تنكر عثر وزلت رجله فدخلت بين حجرين كبيرين فاندفع احدهما يتدحرج
ومع انه جازف بحياته لكي يمسكه فانه تدحرج بقوة وصدم صخرة عظيمة فتحطم قطعة صغيرة
أحدثت صوتا هائلا .

فقال الغلام : يا للأسف . ما العمل اذا سمع الجنود الصوت ؟
فقال تنكر : اظن انهم سمعوه فان بيننا وبينهم أقل من ميل واحد . فمأخذا يسرعان وهما

يجران الجوادين الى ان وصلا الى قمة المنحدر فوقا ينصتان ويرقبان ناحية خرائب الحصن القديم

وكانا يريان من مكانهما الفناء والنار . ثم رأيا أشخاصا تخرج جماعات من البوابة وسمعا بعد لحظة أصواتا تملأ الفضاء فعلموا أن الجنود الاسبان قد رأوها جليا في نور القمر الساطع وسمعوا صوت الحجر الساقط فاسرعوا الى البوابة

فقال بليك : انه سوء بختنا ولكننا بعيدان عنهم بمسافة ويجب أن نستفيد من ذلك .

فوثبا الى ظهر جواديهما وأعملا فيهما انهمازا فعبرا قمة المنحدر ثم نزلا المنحدر الذي يليه وخرجا فاتبعهما جنوبا . وبعد أن ركض الجوادان بهما مسافة وقفا ينصتان فسمعا من بعيد صراخا شديداً ووقع حوافر كثيرة

وكانت الفرسان الاسبانية قد ركبت تطاردهما . ومن الاصوات التي سمعها بليك وتنكر علما أن الفرسان لم تسر في الوادي بل صعدت التل الذي وراء حوض الماء تماما وعليه فسترهما باسرع مما كانا ينتظران

فقال الغلام : لم أكن أنتظر ان تقتني الفرسان أثرنا ياسيدي بل ظننت أنها تحسبنا شخصين من عصابة « بن ابو »

فأجاب بليك بكبر : لقد أخطأت في ظنك فان الجنود وجدت الجوادين الابيضين غير موجودين والكاين هومانوس شك أو عرف بدهانه انا انا وانت قد هربنا من مليله وان الجوادين هما لنا واننا كنا مختبئين في الخرائب ننتظر فرصة للفرار

وبعد قليل ظهرت الفرسان الاسبانية على قمة التل وما كادت ترى بليك وتنكر جيئداً حتى أطلقت الاعنة لجيادها وأخذت تجري في أثرها . واذا كان بين الفرسان وبينهما مسافة غير قليلة وجيادها لم تسترح مدة كافية بينما الجوادان الابيضان قد استراحا يوماً كاملاً ظن تنكر ان الفرسان تعجز عن اللحاق بهما فقال وهو جذل :

لا تتلق يا سيدي فان الفرسان غير قادرين على اللحاق بنا

فقال بليك : لا اعتقد ذلك فان جياد الخيالة الكبيرة تحتمل التعب أكثر من جوادينا

الصغيرين وجليدها أعظم

فقال تنكر : أفنظن اذن اننا سوف نؤسر ؟

فاجاب بليك : نعم . ذلك ما أظنه والامل بنجاتنا ضعيف جدا ولكن لنأمل ولا تقنط
 فاذا سرنا مسافة بعيدة فرمما عدل الاسبان عن مطاردتنا
 ولا يخفى انهما لم يكونا يخافان على حياتهما لانه اذا لحق بهما الفرسان وأسروهما فكل
 ما في الامر انهم يعيدونهما الى مليلة ويجعلونهما تحت المراقبة ثم يرسلونهما باول باخرة تعبر
 البحر المتوسط الى انجلترا

ومع أن هذا كان غاية ما يمكن أن يحدث لهما فكنا يجتهدان بكل ما في وسعهما أن يمتعا
 حدوده لانه آخره مخزية لسفرهما بل المهمة التي أخذتا على عاتقهما اتمامها في خدمة وزارة الخارجية
 وفوق ذلك فاذا أمكنهما الافلات من يد الاسبان فلها أمل عظيم بالوصول الى بلاد الريف
 حيث يجدان دك والس وحدود عبد الكريم لا تبعدهما أكثر من يومين .
 واستمرت المطاردة مدة طويلة

وغير بليك وتنكر خط سيرهما من الجنوب الى الغرب الجنوبي ظناً منهما انه أسلم عاقبة
 وأخذتا يسيران ميلا بعد آخر وساعة بعد أخرى تارة فوق التلال وأخرى بين الوهاد أو في
 برار قاحلة جرداء وهما يخوضان الجداول الصغيرة ويخترقان الادغال المشتبكة ويشبان فوق
 الصخور الكبيرة . وكان سيرهما تارة بسرعة المخازف وطورا بحذر المتأنى .
 ولم يمكنهما الاختفاء عن نظر الفرسان التي كانت تجري في أثرهما . ومع انها بقيت مدة
 على مدى نصف ميل وراءهما فانهما أخذتا تدنو منهما شيئا فشيئا .
 وبعد أن قطع بليك وتنكر نحو خمسة عشر ميلا خرجا من واد ضيق الى أرض منبسطة
 فرأيا أمامهما على مسافة قريبة غابة صغيرة

فانعشت رؤيتها آملها ورأيا فرصة للنجاة مع أن الفرسان كانوا قد أصبحوا على مدى نحو
 ثلاثمائة خطوة منهما . فاعملا المهماز في جواديهما وصرخا في اذانها صراخ اليائس المستميت .
 ولم يكادا يقطعان الارض المنبسطة حتى رايا افواجا افواجا من الفرسان بثياب بيضاء يخرجون
 من أطراف الغابة . ثم انتشروا في خط طويل وظهرت وجوههم السمراء في نور القمر الساطع
 وأبرقت سيوفهم وبنادقهم

فصرخ تنكر قائلا : لا يمكن أن يكون هؤلاء عصابة « بن ابو » فانهم كثيرون . ترى من هم ؟
 فاجاب بليك : انهم ريفيون
 فقال تنكر : نعم أظنهم كذلك وربما قتلونا . فما العمل ؟

فاجاب بليك : جرّ عنان جوادك . جره . اسرع !
 فخرّا عنان جواديهما بكل قوة حتى كاد الجوادان يقلبان على كفليهما . ثم رفع بليك يديه
 الى فوق ونادى باعلى صوته : أننا أصدقاء . أننا أصدقاء .
 ومرت بضع ثوان وهما في انتظار وجزع شديدين فان الفرسان اطبقوا عليهما من كل
 ناحية وطوقوهما وهم يصرخون صراخاً هائلاً
 فقال تنكر : يا المصيبة . أن ابي يكاد يطير
 ثم سمع اصوت بوق يملأ الفضاء . فالتفتا الى الورا فابصرا الفرسان الاسبان قد وقفوا ثم
 داروا وطفقوا يحIRON بكل سرعة متراجعين وقد تولاهم دعر شديد
 فتبعهم فرسان المغاربة وأخذوا يطاردونهم ويضيقون عليهم السبل حتى كادوا يدركونهم
 الا أنهم اكتفوا بان أطلقوا عليهم بضع طلقات نارية ثم عادوا أدراجهم ووقفوا على مقربة من
 بليك وتنكر
 ولم يكن نمة ريب في أن أولئك الفرسان كانوا من الريف وقد ابتعدوا عن بلادهم أميالا .
 ولولا الثياب التي كانوا يرتدونها لظن من رآهم أنهم من أهل أوروبا . ولا غرابة في ذلك فان
 المغاربة من الجيش الابيض وليسوا من أهالي أفريقيا
 وكان قائد القوم رجلا طويل القامة تلوح على وجهه علامات النجاسة ويدل مرآه على أنه قائد
 أو زعيم . فنظر الى بليك وتنكر هنيهة ثم سألها بالاسبانية بخشونة :
 من انما ؟

فاجاب بليك : نحن سائحان انجليزيان .
 فقال وهو مذهول : انجليزيان ؟ ألم تكونا من أعدائنا الاسبان ؟
 فاجاب بليك : لم نكن منهم بل كانوا يطاردوننا
 فقال القائد : ولكنكم متتكران بثياب وطنية فلماذا ؟
 فقال بليك : السبب وجيه وهو طمعنا بسلامتنا فاننا ذاهبون الى
 فقاطعه القائد قائلا : سأسمع قصصكما في ما بعد فاحضرا المقابلتي
 ومع أن مقابلة هذا القائد لبليك وتنكر كانت في غاية من الفتور لم يريا ما يدعوا الى القلق
 فركبا معه ومع الفرسان وساروا في الارض المنبسطة الى أن وصلوا الى حدود غابة . وبعد أن
 اجتازوها وأبعدوا عنها نحو مائة خطوة ترجلوا وتبطنوا منحدرًا حتى وصلوا الى معسكر الريفيين

وكان مؤلفاً من عدة خيام قد ضربت في أرض منبسطة على موازاة نهر عريض ذي تيار سريع .
وتحقق بليك وتشكر أن ذلك المعسكر لم يكن معسكراً دائماً إذ لم يكن فيه نساء وأولاد ولا كلاب
وماشية

وما كاد الفرسان يبلغون ذلك المعسكر حتى أطلقوا الخيل لترعى السكلا . وتفرق الرجال
جماعات جماعات وأخذ بعضهم يجمعون الحطب والبعض الآخر يضعونه فوق النار التي كادت تنهد
وأشار القائد المغربي الى بليك وتشكر فسارا وراءه الى خيمته . ولما دخلها أمرهما بالجلوس
على بساط أمامه . ثم أمر فاحضر لهما طعام وشراب طبقاً لواجبات الضيافة عند العرب . فأكلا
وشربا ثم قال لهما :

أنا القائد نصولى . وأنا واخي الاكبر حاجي بابا نحكم قبيلتنا بلاشتراك . ولا ريب في
انكما تعلمان أننا نحارب تحت لواء الزعيم عبد الكريم في سبيل استقلال بلادنا وقد جئت
الآن الى حدود المنطقة الاسبانية لاستقى أخباراً لعبد الكريم . أما أخي فقد ذهب الى الشمال
ليحارب العدو على مقربة من تافاروين على ساحل البحر . ويجب أن انضم اليه بعد ثلاثة أيام
في نباد التي هي عاصمة القبيلة

وتوقف هنيهة كأنه يستجمع أفكاره ثم قال : تقولان أنكما انجليزيان ولكنكما تتكلمان
الاسبانية جيداً كما اتكلمها أنا

فقال بليك : أن في انجلترا كثيرين يتكلمون اللغة الاسبانية جيداً

فقال القائد : ربما كان صحيحاً . ولكن ما الذي أتى بكما الى مراکش الاسبانية ؟

فقال بليك : أتينا الى هنا لنبحث عن صديق لنا انجليزي اسمه والس . وقد ذهب في

مهمة ودية الى معسكر عبد الكريم

فقال القائد : انني لم أر هذا الشخص ولكنني سمعت باسمه . ويظهر أنه مر بهذا المكان

منذ بضعة أيام ولكن أين نزلنا الى البر وكيف اذن لكما الاسبان بالسفر في بلاد الريف ؟

فقال بليك : نزلنا الى البر في ميناء مليلة وكاد الاسبان يقفوننا هناك لولا مساعدة صديق

لنا من أهل البلاد فانه جهزنا بدليل وجوادين فتمكننا من الفرار من المدينة . على أن الدليل

خائننا وسلمنا الى الشيخ بن ابو وعصابتة الذين كانوا مزعمين أن يقتلونا لولم يدهمهم الفرسان

الاسبان

فقال القائد : اذن انما مرسلان من قبل حكومتكما لتعودا بصديقكما الانجليزي أليس كذلك ؟

فقال بليك : نعم هو كما تقول

— : وهل معكما أوراق تثبت ما تقولان ؟

— : أن أوراقنا سرقتها بن أبو

— : ولماذا تبحثان عن صديقكما والس ؟

— : لنقمنه بالعودة معنا الى إنجلترا

— : ولماذا تريدان أن نقمنه بالعودة الى إنجلترا وما هي مهمته في هذه البلاد ؟

— : هو مكاتب إحدى الجرائد الكبيرة في لندن . ولا ريب أنه سيقابل الزعيم عبد

الكريم . ولكن الحكومة البريطانية لا تستحسن عمله اذ لا مصلحة لها في الحرب بين الاسبان والريف

فقطب الزعيم وجهه حتى بدت أسارير جبينه وارتسمت عليه علامات الاستهزاء . فأدرك بليك أنه قد ارتكب خطأ بشرح مهمته بجلاء وبافراطه في الكلام

وعقب ذلك سكوت قصير كان القائد في اثنائه يشط لحيته . وبعد هنيهة تكلم بشيء من الخشونة قائلاً : اني لا أصدق ما تقولان . نعم انما انجليزيان وقد تكونان صادقين في كلامكما عن رفيقكما الانجليزي . ولكني أرى أنكما جاسوسان قد استأجركما الاسبان . ولما رأينا كما لم تكونا هاربين من فرسانهم بل كنتمما تمصنعان ذلك . ولم يكن فرسان الاسبان يطاردونكما بل بالعكس كانوا يحرسونكما في الطريق . وفي الواقع انكما ذاهبان الى بلاد الريف بايعازهم لتجسسا ما يتيسر لكما من الاخبار وتعودا بها اليهم . وفي الوقت عينه تبحثان عن صديقكما الانجليزي لتعودا به خيفة أن يستصفيه عبد الكريم ويستكتبه مقالات في لندن للتأثير في الرأي الانجليزي واستماله عطفه على الريفيين

وقد كان بليك ينتظر أن يسمع مثل تلك التهم من المغربي . فقال له بانفة : أقسم لك بشر في أننا لسنا جواسيس وأن ما افضيت به اليك هو الحقيقة بعينها . لقد هربنا من الاسبان ولو قبضوا علينا لاعدونا الى مليلة ومنها الى إنجلترا اذ عندهم أوامر من حكومة مدريد توجب عليهم أن يمنعونا من زيارة بلاد الريف . أما أوراقنا فكما قلت لك قد سرقتها منا بن أبو الشيخ اللص . فهل تصدقنا الآن بعد أن قلنا لك الحقيقة ؟ وهل تضيغنا مدة في معسكرك كي نستريح ثم ندعنا نساfer الى بلادك لتبحث عن صديقنا في معسكر الزعيم عبد الكريم ؟

فهر القائد رأسه وقال : لن أسمح لكما أن تذهبا من هنا

فقال بليك وهو يرى أن لافائدة من اللاحاح : وماذا تريد أن تفعل بنا ؟
 فاجاب القائد : يجب أن تبقى هنا ولا تحاولا الفرار . انني لا أزال اعتقد انكما جاسوسان
 ومع ذلك ليس لي أن أحكم عليكما لان الحكم منوط باخي الاكبر
 فقال بليك : اتعني انك ستذهب بنا الى عاصمتك ؟ فقال نعم ستذهبان معي الى هناك ليراكم
 اخي فيقرر ما يفعل بكما . وليس لي كلام آخر فالأفضل ان تذهبا وتناما لأننا سنسافر من هنا
 في الصباح

وفي أثناء الحديث كان اثنان من الرجال واقفين هنالك . واسر اليهما بضع كلمات باللغة
 العربية . فاشارا الى بليك ورفيقه فتبعاهما الى خيمة أخرى في وسط المعسكر . وبعد قليل جاءهما
 احد المغاربة باحرامين التفتا بهما واضطجعا على الارض وقد أخذتهما التعب والنعاس كل ما خذا
 ولما اختليا قال تنكر : هذه مصيبة أخرى . الاسبان أولا . وابن ابو وعصابتة السفاحة ثانياً
 والآن نحن في يد الريفين . فماذا ترى يفعل بنا حاج بابا حينما تقف أمامه ؟
 فقال بليك : لا أعلم . وأخشى أن يمنعنا من مواصلة سفرنا للبحث عن والس . وربما أعادنا
 الى ...

فقاطعه تنكر قائلاً : أترى ياسيدي ؟ ان القائد يعاملنا كالأسرى . فقد وضع على باب الخيمة
 ديداناً مسلحاً

فتساءل بليك وقال : أتركني ولا تضايقني بأفكارك السوداء فاني أريد أن أنام

وفي فجر اليوم التالي نهض بليك فشعر بضجة عظيمة في المعسكر ثم علم ان القوم بعدان تناولوا
 طعام الفطور رفعوا خيامهم فحزموها استعداداً للرحيل . وما كادت الشمس تشرق حتى وثبوا الى
 ظهور جيادهم وساروا ومعهم الاسيران بليك وتنكر وهما راكبان جواديهما اللذين كانا من جياد
 الخيل

وظل المغاربة يسرون سحابة ذلك اليوم غرباً جنوباً وهم يدورون حول الهضاب ليستجنبوا
 التلال الصعبة المرتقى

ومع ان القائد أخبر بليك بانهم قد اجتازوا حدود بلاد الريف فانه قال له أيضاً ان المكان
 الذي كانوا يقصدون اليه لم يكن قريباً من المنطقة التي يحتمل وجود عبد الكريم فيها
 وكان القائد أنيس العشرة بشوش الوجه يحذنها بكل لطف ورقة حتى أن مخاوفهما زالت .

ومع ذلك بقياً يتخوفان مما قد يحكم به القائد الأكبر فقد لا يصدق قصتهما فيأمر بإعادتهما بحراسة رجاله الى الحدود الاسبانية ولا يسمح لهما حتى بجواديهما

وكانت هذه الفكرة تخيفهما : فاذا أرغما على العودة وفشلا في تأدية مهمتهما سقطا في نظر السر فرئيس ترانت ولا يذرهما ان أحوالاً قاهرة جعلتهما بخفتان

وفي مساء اليوم التالي وصل المغاربة الى سهل جميل ضربوا فيه خيامهم . فلما خلا بليك الى تنكر قال له : لا تقنط يابني فلربما اقنعنا حاج بابا

وفي منتصف اليوم الثالث وصلوا الى تمباد وهي قرية غير صغيرة الحجم واقعة في الوادي الذي اجتازه المغاربة متفرقين وعلى ضفة نهر يندفع فيه تيار قوى

وكان في تمباد نساء وأولاد وبنات — وكانت البنات نحيفات رشيقات القدود عليهن ثياب نظيفة ووجوههن كوجوه الاوروبيات . اما بيوت القرية فبنية من الآجر (الطوب) المشوى بحرارة الشمس ومعظمها كبيرة واسعة الارعاء

وكانت الطيور كثيرة الاشكال والالوان تحوم على سطوح المنازل . وحول المنازل كلاب شرسة تحرس الطيور والماشية على اختلاف أنواعها

فسر بليك وتنكر بالمكان . ولكن القائد لم يسمح لهما بالتجول كثيراً . بل أمر فاخذا الى غرفة مفروشة تزيها الستائر والابسطة المصنوعة من جلود الغنم . وكان على باب غرفتهما ديدبان مسلح وكان القائد نصولي يزورهما من وقت الى آخر . وكما زارهما سألاه عن أخيه الأكبر فيقول لهما انه لم يصل بعد وانه ينتظر وصوله بعد ساعة . ولكن مر بهما ثلاثة أيام والقائد لم يصل . وفي اليوم الرابع بعد الظهر وصل هو وعسكره من الشمال فنبطنوا النلال منحدريين وتوجهوا الى ميدان العاصمة ومع ان بليك وتنكر لم يرياها حينما وصلوا لان شباك الغرفة لم يكن يطل على الميدان فلتما سمعا وقع حوافر الخيل ثم سمعا عويلا وبكاء شديدين . فعرفا معنى ذلك وعلما بأن الريفيين التقوا خصومهم وقتلهم ففقدوا بعضاً من رجالهم ولم يعودوا مع المعسكر . لذلك كانت النساء يصرخن على ازواجهن والأولاد يبكون على آبائهم

فقال تنكر : أخشى ان يكون القائد حزينا وفي حالة غضب شديد
فقال بليك وهو يحاول ان يخفي ما يساوره من القلق : نعم ولكن ربما سرى عنه قبل ان

تقابل

ومرت ساعتان أو ثلاث فكادت الشمس تغيب وأبدل الديدبان الذي على الباب بغيره .

فسأله الاسير ان عن آخر الاخبار فقال لها ان قنالا شديداً دار في منطقة المدينة المسورة (نافا روين) فارتد جيش الريف بخسارة عظيمة . ولقد كان العدو مستعداً تمام الاستعداد ومعه المدافع الرشاشة بكثرة . وهذه المدافع حصدت رجالنا كما ان مدافع البوارج الحربية التي في الميناء وقنابل الطيارات فتكت بالكثيرين . وقد فقد القائد ثلث رجاله وأصيب هو نفسه بجرح خطير

فسأله بليك : وهل كان القائد عبد الكريم ايضاً في المعركة

فاجاب المغربي : كلا ان عبد الكريم هو في معتقله بالجبل وقد ابل من مرضه من عهد قريب . والارجح انه ان يمر زمن طويل حتى يقوم بهجوم عظيم على الاسبان طمعاً باحراز نصر عظيم . وفي هذه اللحظة دخل القائد نصولي ووجهه كئيب جداً وقال : لقد كملت أخي الاكبر عنكما ورويت له كل ما قلناه لي وهو مستعد ان يقابلكما . فارجو لكما الخير لاني قد صرت أشعر بميل اليكما وان كنما في خدمة الاسبان . على أنني أخاف أن . . .

ثم توقف عن الكلام بفتة وبمذهنية خرج . وكان قد جاء بربعة من الرجال فساروا ببليك وتذكر مسافة قصيرة في وسط القرية حتى وصلوا الى منزل كبير بالقرب من النهر فدخله بليك وتذكر فوجد القائد حاج بابا جالسا القرفصاء وحوله ستة من رجاله الشجعان . وكان الرجل ذا بنية قوية ولحية كثة وشاربين كبيرين وهو يشبه أخاه كثيراً . وذراعه معلقة الى عنقه وحول رأسه عصا ملوثة بالدم . فلما وقفا أمامه نظر اليهما بعبوسة وهو ساكت بضع ثوان ثم قال : أذن انما الانجليزيان اللذان استأجرهما الاسبان للتجسس

فاجابه بليك بهدوء ورباطة جأش : كلا ياسيدي لسنا جاسوسين

فقال القائد : لا أصدقكما

فقال بليك : هي الحقيقة . فاذا شئت ان تصنى . . .

فقاطعه القائد قائلاً : لقد سمعت قصصكما من فم أخي ولا أريد ان أسمعها مرة ثانية فعبنا تضعيان الوقت . لقد كذبتما على القائد نصولي وأنا متأكد انكما جاسوسان ولذلك اراني مضطراً ان أحكم عليكما بالموت

فخجل بليك وقال : أتحكم علينا بالموت ؟

فاجابه حاج بابا : نعم بالموت

فقال بليك : ولكننا بريثان ونحن ذاهبان الى معسكر الزعيم عبد الكريم بمهمة ودية

فقال القائد : بل انما جاسوسان تريدان الذهاب الى بلاد الريف والتوغل فيها لتجمعنا

ما يتيسر لكما من الاخبار لمصلحة اعدائنا . ولعله لولا ما حدث في تافاروين لعفوت عنكما . ولكن الاسبان لم يظهروا شيئاً من المروءة وكرم الاخلاق لان جنودهم أحاطوا بنفر من رجالي الذين ألقوا سلاحهم وسلموا أنفسهم يطلبون الامان . فذبجهم الاسبان بحمد السيف وقد شاهدت ذلك بعيني .

وتوقف عن الكلام هنيهة ثم رفع ذراعه وأشار من الباب المفتوح الى الصخر الكبير الناقى في النهر وقال : هناك موقع تنفيذ الحكم فيكما . فعداً عند الفجر تقفان على قمة ذلك الصخر فتطلق عليكما بعض طلقات نارية فتسقطان في الماء ويجرفكما التيار

فشعر بليك وتنكر بشيء من الوجع ولكن شجاعتها لم تخنهما هنيهة . فسارا من حضرة القائد براسين منتصبين ومناكب مرتفعة يحيط بهما بعض الرجال ولم يذهبا الى البيت الذي كانا فيه بل سير بها الى بيت أصغر ليس فيه سوى غرفة واحدة وهو في جانب ميدان القرية

وأقيم على باب الغرفة حارسان . واجتمع في الخارج جمهور عظيم . ولكن لم يحدث شيء من المظاهرات العدائية وانما سمع بليك وتنكر بخليطاً من الأصوات يشف بعضها عن الغضب وغيرها عن العطف لأن بعض القوم رأوا في حكم قائدهم شدة متناهية

الفصل التاسع

عند الفجر - الواصلون الجدد - في ميدان القرية - ذو العمامة الخضراء - بليك وتنكر
يكتشفان ما يذهلهما - النجاة من الموت - كافنديش دويل - أخبار من
ذلك والس - كتاب عبد الكريم - السفر غرباً

تقلب بليك وتنكر بضع ساعات تلك الليلة على بساطين من جلود الغنم وهما على أشد ما يكون من الخوف والاضطراب فلم يغمض لهما جفن ولا وجد النوم الى أعينهما سبيلاً . وقبيل الفجر نهضا وهما يعلمان انه لم يبق من حياتهما الا بضع دقائق . وطرق أسماعهما صوت ضجة في الخارج ووقع حوافر خيل كثيرة . فأسرعا الى الشباك وأطلا على ميدان القرية فرأيا أهل القرية كلهم قد اجتمعوا في الساحة العمومية ليشهدوا تنفيذ الحكم فيهما . وقد دنت تلك الساعة الرهيبة

على ان ذلك وحده لم يكن بالسبب السكافي لحدوث الجلبة والصياح ولا سيما ان أهل القرية كانوا يركضون هنا وهناك فيجتازون الميدان الى طرفه الغربي حيث كانت فصيلة من الفرسان تحاول عبور طريق ضيق

وكانت الفصيلة تسير خبيئاً وجيادها صغيرة الحجم كثرة الشعر . وبعد قليل عبرت ذلك المضيق كله وخرجت الى الطرف المقابل من الميدان . وكان عدد رجالها نحو عشرين قد أحاط بهم جمهور كبير من الاهالي

ومع ان القوم كانوا من المغاربة فقد كانوا يختلفون عن الريفيين الذين من نباد اذ كانوا طوال القامة ذوي بشرة فاتحة مدججين بالأسلحة وعليهم ثياب من نسيج أسمر خشن وكان على رأس الفصيلة شخص ضخم الجثة ذو لحية مسترسلة وشخص ثان نحيف الجسم على رأسه عمامة خضراء

فقال تنكر لبليك : ترى من هؤلاء ؟

فأجابه بليك : لاشك انهم رجال بعض القبائل المهمجية التي تقيم بالجلبال . ولكن ما الذي جاء بهم الى هنا في مثل هذه الساعة المبكرة ؟ لا أظن انهم قد حضروا ليشاهدوا تنفيذ الحكم فينا وكان الرجل الضخم يصرخ بأعلى صوته كأنه يدعو أحداً والجمهور يعظم رويداً رويداً وينضم اليه الاولاد والرجال والكلاب تنبح را كضة هنا وهناك وأخيراً ظهر القائدان الاخوان - حاج بابا ونصولي . ففسح لهما الناس الطريق حتى وصلا الى الفرسان

فأخرج الرجل ذو العمامة الخضراء ورقة من تحت طيلسانه وسلمها الى حاج بابا . وبعد ان قرأها هذا سلمها الى أخيه نصولي

ومهما تكن الاخبار فقد انتقلت من شقة الى شقة وانتشرت بسرعة البرق الخاطف . فازداد الصخب وعظمت الجلبة . ثم همز الرجل الصغير جواده وشق له طريقاً في وسط الجمهور . وأخذ يسير نحو البيت الذي كان فيه صاحبانا الأسيان . فلما وصل ترجل وأمر أحد الحارسين بان يمسك بعنان جواده . ثم دفع الحارس الآخر جانباً وفتح الباب ودخل الغرفة التي فيها بليك وتنكر

فوقف أمامهما وذراعه مثنيتان على صدره وهو عابس الوجه ومنظره يلتقي في النفس رعباً . وهلمأ . ثم قال بصوت يدل على منتهى الشراسة : أنتما اذن الجاسوسان الكلبان اللذان قد

أعما كما ذهب الاسبان ؟ لقد فعل صديقي حاج بابا حسناً بأن حكم عليكما بالموت . وقد تركت حصني في الجبال وحيث لأحضر تنفيذ الحكم فيكما وأرى الرصاص يمزق أحشاءكما ثم غصّ بالكلام فتوقف هنيئاً كأن شيئاً قد وقف في حلقه . وبعد قليل أخذ يضحك بصوت عال وهو يقول بالانجليزية : أيها الطائشان المجازفان . أنت يا بليك وغلارك العنيد ... فصرخ بليك مذهولاً : يا للآلهة ! هذا دويل . كافنديش دويل ! ... فقال الغلام : بكل تأكيد . هو هو يا سيدي !

وفي الواقع ان الرجل كان كافنديش دويل من المصلحة السرية البريطانية . ذلك الرجل الجريء الشجاع الذي يعرف كل زاوية من زوايا العالم ويتكلم كل لغة على وجه البسيطة وكثيراً ماشارك صديقيه بليك وتنكر في حوادث خطيرة متعددة فصالحهما دويل وهو لا يزال يضحك . فضحكما هما أيضاً ضحك الفرح اذ علما ان دويل هو الذي قد أنقذ حياتهما بحيلته الواسعة

وسألاه تفاصيل الخبر بكل شوق ولهفة . فأخذ يقص عليهما قصته . ولكن الهياج العظيم في الخارج حال دون سماعهما ايها . وكان الميدان لا يزال يمزج بين فيه من رجال ونساء وأولاد وجنود . وأصواتهم تملأ الفضاء وجمهور عظيم منهم لا يزال محمداً بالبيت الذي فيه الأسيران . ولما هدأت الجلبة دخل القائدان المغربيان - حاج بابا وأخوه نصولي - وبادرا بليك وتنكر بالتحية وقبلاهما . ثم قال لهما حاج بابا :

لقد أخطأت بالحكم عليكما والحمد لله انني عرفت الحقيقة قبل فوات الفرصة . فقد جاني كتاب من الزعيم عبد الكريم يقول ان قصتكما صحيحة . لذلك عفوت عنكما فأنتما منذ الان من اخوتنا . فأرجو أن لاتتحدا علينا اذ كثيراً ماتخفي الحقيقة على ذوي البصائر النيرة ثم خرج القائدان ومعهما كافنديش دويل . وبعد قليل عاد كافنديش ومعهم المغربي الكبير ذو اللحية المسترسلة فعرقه بها باسم الشيخ حقاير

ثم خرج الشيخ وفرسانه وانصرفوا فتفرق الجمهور المحتشد في الساحة . وبعد قليل حضرت بعض النساء ويحملن قضاغاً فيها لحم مسلووق وطعام لبليك وتنكر وصديقهما . وفي أثناء تناول الطعام كان كافنديش يروي قصته باختصار قال :

يجب قبل كل شيء أن تشكروا وزارة الخارجية البريطانية . فقد كنت في لندن حيث قابلت السر فرانسيس ترانت فأخبرني بان دك والس قد سافر الى بلاد الريف وبأنكما تبعهما

من طليطلة بناء على الاوامر التي بعث بها اليكما . ثم اقترح علي أن ألق بكم خوفاً من أن تصابا بأذى . فلبيت طلبه حالا وسافرت بالسكة الحديدية ثم ركبت طائرة فوصلت الى طنجة حيث قابلت صديقاً لي من الضباط الاسبان فبذل لي كل مساعدة وساعدني على السفر ليلا فركبت طائرة انزلتني في قلب بلاد الريف وكنت انوي السير الى تافاروين لعلمي بانكما لن تستطيعا تجاوزتها الى ابعد . ولكنني اضطرت ان انزل بالقرب من هذه القرية وانا متسكراً بتياب اهل البلاد . ثم دخلت القرية لاستأجر جواداً ودليلاً فقبض على المغاربة وارسلوني الى معقل الزعيم عبد الكريم . وكان يومئذ في دور النقع من حى قد انتابته . ووجدت ذلك والس ايضا هناك ولم تكن دهشته لرؤيتي اقل من دهشتكما . ولم يسئ الزعيم الى بشيء لان ذلك والس عرفه بي فابدى لي كل رعاية واكرام وعاملني بكل رقة . فقضيت عنده بضعة ايام وانا اتنسم اخباركم . ولما قطعت الامل من لقائكما عزمتم ان اسافر . وبينما انا على اهبة السفر اذا رسول قد جاء من الشرق واخبر عبد الكريم بانكما اسيران في قبضة القائد حاج بابا بقرية تمباد . وقد بلغه انكما جاسوسان فاصبحت حياتكما في خطر .

وكان ذلك منذ يومين فقط . فصممتم ان اسعى لاتقاذكما . وكان والس شديد الرغبة في المجيء معي ولكن عبد الكريم منعه خوفاً عليه من بعض المتوحشين من اهل الجبال ولم يكن في وسعه ان يرسل معهم بعضاً من رجاله لحراسته لانه لا يستطيع ان يستغنى عن احد منهم . على انه اذن لي في السفر وأعطاني كتاب توصية الى القائد حاج بابا اكد له به انكما لستما جاسوسين . وامره بان يطلق سراحكما حالا .

فحملت كتابه وسافرت على جناح السرعة ...

وتوقف كافنديش هنيهة ليشعل لفافة من التبغ بعد ان فرغ من الطعام ثم قال : ركبت جواداً سريعاً سار يذهب بي الارض نهباً ولم التق احداً إلا في صباح امس . وكنت قد قضيت الليل في غابة صغيرة فلما افقت في الصباح رأيت حولي جمهوراً من فرسان المغاربة ينظرون الى شزراً فاعترتني حيرة ولم ادر ماذا افعل . ولكن سرري عني عندما علمت انهم فرسان الشيخ حقار وان الشيخ نفسه معهم ولعلكم تذكر يا بليك ان الشيخ حقار هذا هو صديق قديم لي وانا سافرنا مرة معاً الى بلاد الحجاز . ولما رأني سلم على وعانقي طويلاً وهو يكاد يطير من الفرح . فاخبرته بقصتي وبخطتي فركب معي هو وفرسانه وجئنا الى هنا . والحمد لله اننا وصلنا قبل فوات الفرصة . يالله . تصورا شعوري عند ما سمعت بأنه قد حكم عليكم بالموت وانكما ستقتلان رمياً بالرصاص عند الفجر

(ستأتي البقية)

الاوراق المالية المصرية

الفرق بين اسعار اهمها في شهر

في ٢٥ مايو سنة ١٩٢٦

جنيه ٨٢ $\frac{٧}{١٦}$ » ٣٥ $\frac{٥}{٤}$ » ٧٣ $\frac{٢}{٤}$ » ٨٣ $\frac{٧}{١٦}$ » ٩١ $\frac{٧}{١٦}$ فرنك ٩١٧ $\frac{١}{٤}$

» ٥٧٩

» ٣٥١ $\frac{١}{٤}$

» ٣١٣

» ٤٨١

» ٣٥٠ $\frac{١}{٤}$

» ٢٩٣

في ٢٥ ابريل سنة ١٩٢٦

الموحد ٨٤ $\frac{٣}{١٦}$ الممتاز ٧١ $\frac{٥}{١٦}$ البنك الاهلى ٣٦ $\frac{١١}{١٦}$ » الزراعى ٧٣ $\frac{٢}{٤}$

الجزية ٨٢ في المائة

» ٤ » ٨٨ $\frac{١١}{١٦}$

اسهم العقارى ٩١٩

السندات الاولى ٥٧٩

» الثانية ٣٥٨

» الثالثة ٣١٣

السويس ٤٧٥ بالمائة

» ٣ » ٣٤٢ $\frac{١}{٤}$

هليوبوليس ٣٠٤



المجلة الشهرية

فهرس الجزء الخامس (مايو) من السنة الثانية

صفحة	صور	صفحة	صور
٤٥١	لصوص سكك الحديد	٤٠١	يوبيل المقتطف الذهبي
٢	في اميركا	٤٠٥	باستور ومقامه
٤٥٦	الاعمال او الانتكال	٤١٤	اطفال الناس تربيتها
	على النفس		الحيوانات
٤٦٢	رواية اكتشاف الزجاج	٤١٦	هيكل دريدنوط
٨	غرائب كشف المجرمين	٤١٧	الغاء الطرق الدينية في تركيا
٤٧٧	جمعية منع المسكرات	٤٢٢	العمر العقلي
٤٧٨	حادثة صغيرة وحرب كبيرة	٤٢٦	النوم والارق
٤٨٠	شاعر سووري اميركي	٤٣٠	البن والدخان والملح
٤٨٢	في الشعر الجاهلي	٤٣٣	المهاجرة الالزامية
٤٨٦	كتب الشهر	٤٤٦	البيض افضل غذاء
٤٩١	العالم في شهر	٤٤٨	قيمة الرجل نقداً

فالمجموع ٢١ مقالة و ٤٨ صورة

في بلاد الريف

— ٥ —

فقال بليك : لاشك ان هذه أعظم ورطة وقعنا فيها وكنا بالألمس قد قطعنا الأمل من الحياة . فنحن اذن لا يمكن أن ننسى ما فعلته

فقال كافنديش : لقد فعلت أنت معي مثل ذلك يا بليك اذ خاطرت مرة بحياتك في سبيل انقاذي . أتدكر يوم خلصتني من أيدي القنلة في نابولي ؟ أتدكر الليلة التي تتبعني فيها الى قرية أكلة لحوم البشر في بلاد الكونغو البلجيكية وانك خلصتني في الدقيقة التي كانوا مزعمين فيها أن يقطعوني ارباباً ويضعوا الحلي في قدر للطبخ ولكن مالنا ولهذا الذكريات الحزنة . لننتحدث بما يسرنا . هل وقع لكما في أثناء سفركما شيء من الحوادث التي تستحق الذكر خلاف وقوعكما في الاسر ؟

فهرز بليك رأسه وملاً غليونه (بيبته) ثم أخذ يقص على كافنديش كل ماجرى له ولتسكير من الحوادث من يوم سفرهما من إنجلترا الى يوم الحكم عليهما بالموت . ثم قل : ولو انك تأخرت ربع ساعة يا كافنديش لكانت جثتنا الآن عائمتين على النهر ينقاذهما تياره

فقال كافنديش : الحمد لله على ان الخاتمة كانت خيراً . ويظهر لي اننا نحن الثلاثة لنا أرواح عديدة كأرواح المرزة . وقد نسيت أن أقول لكما اننا سندهب الى معقل الامير عبد الكريم فقد أوصاني بأن أذهب بكما اليه وكتب الى القائد حاج بابا يأمره بأن يرسل معنا بضعة من رجاله لحراستنا

فقال بليك : حسناً . اني شديد الرغبة في الذهاب الى هناك وقد صدرت لي الأوامر من وزارة الخارجية بذلك وأظن ان السر فرنسيس ترانت قد زودك بأوامر مثلها

فقال كافنديش : نعم قد زودني بمثل تلك الاوامر لانه يخشى أن تفضي زيارة والس لزعماء الريف الى ارتخاء في العلائق بيننا وبين اسبانيا

فقال بليك : وما رأي والس في ذلك ؟

فقال : ان رأيه هو عين ما ينتظر من ذلك والس . فهو يعتقد انه حرّ أن يفعل ما يشاء وان عمله ليس فيه ضرر ما وانه مستعد للعودة متى حان وقت العودة ولن يعود قبل ذلك بدقيقة واحدة

فقال بليك : ولكن يجب أن نقنعه بالعودة معنا في الحال وبلا إبطاء
فأجاب كافنديش : لعله لا يرفض العودة متى أوضحت له ذلك . ولكن هنا لك عراقيل
تعارضه في سبيل عودته

— : عراقيل ؟ وما هي ؟

— : أولها ان الأمير عبد الكريم مسرور بوجوده معه وقد تعلق به كثيراً وهو الذي

يمنعه من الرجوع

— : وثانيها ؟

— : وثالثها ان في معقل عبد الكريم فتاة مغربية بارعة الجمال اسمها توريده

— : ولا شك ان والس يحبها ؟

— : كلا . لا يحبها ولكنها هي التي تحبه وتسعى لاستبقائه هناك . هذه هي الحقيقة .

وهذه الفتاة بحري في عروقتها دم اسباني وهي ناعمة البشرة بارعة الجمال تتكلم الانجليزية جيداً
وسنهابا لاتزيد على الثامنة عشرة . أما تاريخها فلا أعلم عنه شيئاً ولكن والس يقول انها يتيممة
والوالدين وانها تقيم مع زوجة أحد الموظفين عند الأمير

هذا وان ذهابكما معي مفيد جداً فلهذا نسطيع ان نضما حداً لهذه الرواية الغرامية .

ألا لعن الله للنساء فقد أفقدتنا حواء الفردوس وهي تصر على أن نظل قاصدينه

ثم ضحك كافنديش وقام وهو يقول : سأذهب الآن لأقابل القائد حاج بابا وأتفق معه
على السفر اذ ما من شيء يعوقنا هنا . واذا لم نتأخر فنستطيع الوصول الى معقل عبد الكريم
غداً مساء

قال ذلك وذهب فقابل القائد حاج بابا . وبعد نصف ساعة عاد فركب هو و بليك وتنكر
ومعهم اثنا عشر فارساً مغرباً وغادروا قرية نمباد قاصدين معقل عبد الكريم . وافترقوا عن

الحاج بابا ونصولي على أتم ولاء وخرج الأهالي يشيعونهم بأصوات الفرح والهناف

وولى أصحابنا وجوههم شطر الغرب وساروا في طريق وعبر بين سلسلة من التلال

فقال بليك : أظن اننا سائرون في الطريق التي جئت أنت منها

فأجاب دويل : كلا فاني سرت جنوباً لا أتجنب الاشتباك مع عصابات الريفين لئلا أتأخر
عن الوصول الى هنا في الوقت اللازم . ونحن الآن سائرون في طريق مستقيم في جزء من البلاد

كانت في أوقات مختلفة ميداناً لمعارك حربية كثيرة . ولا خوف علينا في هذا الطريق إلا من أمر واحد

فقال بليك : وما هو ؟

فأجاب دويل : الطيارات الاسبانية . فهي تحلق منذ مدة في جو هذه الناحية باحثة عن معقل عبد الكريم . ومع ذلك فقد لا تتعرض لنا

فهز بليك منكبته غير مكترث للطيارات ولا مفكر في شيء سوى ما قد يقع له من الحوادث والأخطار

الفصل العاشر

البلاد العسكرية . اليوم الثاني . نذير الخطر . الطيارات الاسبانية . القاء

القنابل . المدفع المستتر . الطائرة تطلق النار . الطائرة تتحطم .

الضابط الاسباني يهرب . الوصول الى معقل عبد الكريم

الحديث مع دك والس . توريده

ثبت لسكتن بليك ورفقائه بعد أن غادروا نباد أنهم قد أصبحوا في بلاد الريف الحقيقية . ومع أن هذه الجهة من البلاد كانت موحشة فقد كانت بعض الجنود الاسبانية تجوبها من حين إلى آخر بقصد الاستكشاف

وكانت الطريق متشعبة ذات مسالك عديدة وجميع القرى محصنة والراعة بحرسون المواشي وهم مسلحون . ولم يقابل أصحابنا أحداً في الطريق إلا وهو مدجج بالسلاح

وكانوا يشاهدون هنا وهناك آثار المدافع التي كانت قد نصبت على التلال المشرفة على الطريق ورأوا غير مرة رجالاً من القبائل يجرّون مدافع جبلية نصبها على القمم المتسلطة على الطرق وفي المساء وصل أصحابنا إلى قرية فباتوا فيها ثم ركبوا في صباح اليوم التالي واستأنفوا سيرهم فأروا البلاد تختلف عن البلاد التي كانوا فيها بالأمر إذ كانت موحشة تنكث فيها الغابات وليس فيها أثر للسكان إلا ناحية بعيدة رأوها مأهولة بقليل من الناس وكلهم مدججون بالأسلحة وبلغوا عند الظهر جدولاً خاضوا وانحدروا منه إلى واد ضيق تكسوه أشجار غضة وإلى

شماله جبل عال أشبه بحرف هار . وبعد ان ساروا قليلا قل دويل : تذكرني هذه البلاد ببلاد
الافغان المجاورة لولاية بشاور من جهة الهند
فقال بليك . هي أحسن ملجأ للحيوش اذ يسهل الاختباء بين هذه الصخور والشقوق
ولا أظن القنابل تستطيع أن تؤثر فيها
فقاطعه تنكر قائلاً : صه ! ماهذا ؟

فصنى الجميع فسمعوا صوتاً آتياً من بعد . فالتفتوا الى الوراء فأبصروا في الأفق طيارة
اسبانية تطير وترتفع وهي متجهة نحوهم وأزبرها بزداد شيئاً فشيئاً . وكان الريفيون يرقبونها
بشيء من القلق لانهم عرفوا بالاختبار ما تحمله الطيارات من أسباب الخراب والدمار . ثم أخذ
الصوت يشند ويقترب حتى ظهرت الطيارة للعيان . فدار أصحابنا يميناً وهمزوا جيادهم .
فأخذت تركض بهم نحو النل المكسو بالأشجار ولكن وعورة الطريق أخرتهم كثيراً فلم
يكادوا يبلغون منتصف الطريق حتى كانت الطيارة محلقة في الجو فوق رؤوسهم ولونها الأزرق
الرمادي يلمع في نور الشمس . ومع انها كانت مرتفعة كثيراً في الجو فقد تمكن راكبوها أن
يروا بمنظارهم الاشخاص الذين تحتهم بثياب بيضاء يحاولون الفرار طلباً للنجاة
وبينما هم كذلك اذا شيء قد سقط من الطيارة وعقبه دوي عظيم يصم الآذان . ذلك ان
قنبلة القيمت على مدى خمسين يرداً وراء بليك ورفاقه . فانفجرت وكان لانفجارها دوي هائل
وارتفع منها سحابة قائمة من الدخان . ثم عقبها قنبلة ثانية سقطت الى جانبهم وثالثة بالقرب منها
ورابعة سقطت أمامهم

وأحدثت القنابل حفراً عظيمة في الارض واقتلعت عدداً من الاشجار
فالتفت دويل الى بليك وقال : أظن اننا قد نجونا من الخطر
فقال بليك : كلا . لم ننج بعد فقد ذهبت الطيارة ولكنها ستعود
وأصاب بليك في ظنه فان الطيارة عادت وأخذت تدور وتنحدر نحو الارض ثم انثت
في نصف دائرة من اليمين الى اليسار لتتمكن قنابلها من إصابة الهدف . فلما صارت في
أحدارها على محاذاة قمة الجبل اذا النار قد اطلقت عليها فجأة من بين الصخور
وعقب ذلك عدة طلقات نارية وهيب احمر كان يرتفع في الجو . ذلك ان مدفعاً رشاشاً
كان منصوباً على قمة الجبل مخفي بين الصخور والريفيون يطلقونه . واستمر اطلاق النار من

غير انقطاع وكانت القنابل تنساقط حول الطائرة كوابل من المطر والطيارة تدور يمينا وشمالا على غير هدى وقد حاولت ان تغير خط سيرها قاصدة الفرار

واذ ذاك صرخ تنكر قاتلا : لقد اصابوها ! لقد عطلوها !

ثم تطلع الجميع واذا الريفيون يصرخون من قمة الجبل فرحاً وسروراً والطيارة قد كسر أحد جناحيها فصارت تنهادر في الجو . ثم اندفع بها راكبوها يحاولون ان يصلوا الى قمة التل المكسو بالاشجار ولكن الطائرة كانت تترنح بهم كالسكران ثم انقلبت فجأة وهوت بسرعة الى اسفل فسقطت على الارض ونحطت على أحد دور الوادي

فصرخ بليك : مساكين اولئك الركاب ! لا ريب انهم قد قتلوا !

فقال دويل : انظر ! لم يقتل أحد منهم

فنظر بليك واذا شخص يخلص نفسه من الطائرة المحطمة وكانت على مدى ربع ميل منهم وكان لا يسألاً بزة ضابط اسباني . ثم أخذ هذا الشخص يركض يمينا ويسارا فدل ركضه على انه لم يكن قد اصاب بسوء . واذا ذاك أخذ فرسان الريفيين يطاردونه ويطلقون عليه وابلا من الرصاص . الا انه تخلص منهم متوارياً بين الصخور . وأخيراً وصل الى سفح التل فتواري بين اشجاره . فوقف الريفيون لا يدرون ماذا يفعلون . ثم سمعوا صوت خطوات تصعد التل فالتفتوا فرأوا الضابط من خلال الاشجار وقد جلس على صخر فوقهم . فتناول أحد الريفيين بندقيته وسددها نحوه . وما كاد بهم باطلاقها حتى مد بليك يده (وكان واقفاً بجانبه) وحول اصبغه عن الزناد وقال :

أعف عن عدوك فإن العفو عند المقدرة من شيم الكرام

فقال الريفي : صدقت يا سيدي

ثم ذهب الاسباني وتواري عن الابصار

عاد الريفيون بعد ذلك الى موضع الحادثة فنزلوا عن ظهور جيادهم واجتمعوا حول حطام

الطيارة واذا الطيار ميت وجسمه عالق بالحطام

وفي الوقت عينه نزل بضعة أشخاص عن التل الصخري المقابل وأخذوا يسيرين بسرعة

الى حيث حطام الطائرة وكانوا من أهل الجبال وعليهم ثياب من جلود الغنم وهم الذين كانوا

يطلقون المدفع الرشاش من قمة التل . فعابثوا الطائرة باهتمام عظيم . ثم التفتوا فرأوا دويل

وبليك والغلام تنكر فنظروا اليهم نظرة الريبة وبعد ان كلمهم باللغة العربية عادوا اذراجهم الى

مخباهم بين الصخور ليراقبوا الطيارات الاسبانية
وقبل ان وصلوا الى سفح الجبل كان اصحابنا قد امتطوا جيادهم وولوا وجوههم شطر
الغرب وقد اقتنعوا مما شاهدوه بان امام الاسبان عدواً شديداً للبأس
ثم قال بليك لتنكر بصوت منخفض : هل عرفت يا بني الضابط الاسباني ؟
فقال الغلام : وهل عرفته أنت ؟

فاجاب بليك : نعم فانه الكابتن هرمانوس بلا شك
فقال الغلام : نعم . وحسناً فعلت بانقاذ حياته . ولكن هل يسلم من ايدي الريفين ياترى ؟
فقال بليك : لا أظنه يسلم . والارجح انه سيقع أسيراً في أيديهم فيقتلونه
ثم أخذوا يجدون السير بقية النهار فوصلوا قبل الغروب الى طريق رملية على محاذة نهر
فساروا فيها مسافة ثم داروا جنوباً وابتدأوا يصعدون طريقاً وعرة حول الجبل
فقال دويل : لم يبق امامنا سوى مسافة قصيرة يا بليك فسنصل الى هناك قبل ان

يخيم الظلام

ثم ساروا نحو ميل وهم يصعدون رويداً رويداً والحراس يقفونهم في ذلك المسلك الوعر
من وقت الى آخر ويادلونهم بضع كلمات ثم يدعونهم يرون
ولما صاروا على ارتفاع عظيم وصلوا الى غابة من شجر الصبير فاجتازوها وداروا يساراً
واذا بهم في منقرج واد مخصب تتخلله هضاب مكسوة بالاشجار . وكان ذلك المكان هو
مقل الامير عبد الكريم . ورأوا امامهم جدولاً يجري في وسط الوادي مناسباً كالأفوان
ينحدر من صخر الى صخر حتى يتصل بنهر في سفح الجبل والى جانبه بناء كبير امامه فناء
واسع وعلى كنب منه عشرات من البيوت متفرقة بين اشجار الزيتون والدولى
فترجل اصحابنا عن جيادهم واجتمع حولهم عدد غير قليل من خرس الامير عبد الكريم
ومعهم نسوة وأولاد وهم في هرج ومرج

ثم ذهب الريفون يقودون جياد اصحابنا الى ناحية ودخل هؤلاء فناء منزل الامير ومعهم
بعض رجال الحرس . فقابلهم شخص حليق اللحية جميل الصورة طويل القامة قد لوحته الشمس
خيامهم بحماسة .

وكان هذا الشخص هو ذلك والسن وكأنه في بيته وقد ارتدى الثياب المغربية وعليها رداء
صيد قديم . فخيا اصحابنا وقال : مرحباً يا بليك ويا تنكر . اني لم ادش عندما سمعت انكما

في مرا كش فانك يا بليك دقيق حاسة الشم كالنسر . وكنت وانما بانك اذا تلقيت كتابي
فستقضي أنري . وبان دويل سيخرجكما من تمباد مهما يكن الخطر المحقق بكما
فقال دويل : لقد كانا في أشد أنواع الخطر . ولو انني تأخرت ربع ساعة لقمنا لرمينا
بالرصاص

فقال بليك : نعم فان الحاج بابا حكم علينا بالموت لاعتقاده اننا جاسوسان
فقال والس : لست الومه على ذلك ولو كنت في مكانه لكنت ... وتوقف عن الكلام
بغثة وهو يضحك . ثم سار بهم الى قاعة المنزل الكبيرة ومنها الى غرفة في احد جوانبه . وكانت
الغرفة كبيرة ولها شبايك وعليها زجاج وأرضها مفروشة بانواع الطنافس الثمينة واثاثها جميل
وفيها وسائد كثيرة من الحرير والجلد

فقال بليك وهو مذهول : اهذه غرفتك ؟
فاشار والس بالاجاب وقال : هي غرقتي وغرفة دويل وسوف تشار كنا فيها انت وتنكر .
وستنام انت على الطنافس والوسائد . اليس ذلك حسنا ! وسأقوم بنفسي بواجب الضيافة فانكما
ان تستطيعا مقابلة الامير عبد الكريم حتى الصباح فقد اعتاد ان يبكر بالذهاب الى سريره منذ
مرضه وقد اوصاني بان ارحب بكما باسمه

فقال بليك : يظهر انك قد استملت الامير يا دك

فقال دك : نعم فقد استحكمت المودة بيني وبينه

فقال بليك : ليس من الحكمة ان تجعله يشغف بك

فقال والس : ولماذا ؟ اهذا ما يخاف منه السر ترانت العزيز ؟

فهز بليك منكبيه كانه يقول : ليس من السهل ان تجعل دك والس يتكلم بجحد
وكان الظلام قد بدأ يجيم . فدخل خادم وأثار القناديل المعلقة الى السقف ودخل بعده
خدام يحملون الطعام والشراب . وبعد ان فرغ دك والس وأصحابه من العشاء تمددوا على
الوسائد وأشعلوا غلايينهم (يبياتهم) فأخذ بليك يسرد قصته وأخبر والس بكل ما وقع له
ولتشكر الى حين وصولها الى طليطلة . وكان والس يضحك من حين الى آخر وهو يسمع
القصة ثم قال : —

انا اعلم انك دهشت لكتابي الذي تركته لك عند سياستان ووزير ولذلك ساوضح لك

كل شيء . وقبل ان ابدأ بجديتي يجب ان تهنئي لانني قد خطبت دولورا اميجو وسنزوج في الربيع القادم ان شاء الله

فقال بليك : ظننت ذلك منذ البدء . فاهنتك يادك وانني لك الهناء . ولكن قل لي شيئاً عن اصحابك من الحزب الملكي

فقال دك : ليسوا أشراً الى الحد الذي صورهم لك الدون اميجو فقد بالغ في التشيع بهم
فقال بليك : ألم يحاولوا ان يقتلوك ؟

فقال دك : لم تبلغ المسئلة هذا الحد . وكل ما في الامر انهم زاروني في الفندق وامروني بان أعدل عن زيارة بلاد الريف فرفضت وقلت لهم انني لا استطيع تلبية امرهم فدعوني الى منزل الكونت فيليب دي كوند لتبحث في الامر ولما رأوني مصراً على عزجي استلوا سيوفهم واعطوني منها سيقاً واقسموا أن يارزوني واحداً فواحداً فبازات الكونت أولاً فاصبته في ذراعه فسقط سيفه من يده وشهد بأنني خبير بحمل السيف . ثم تركوني ومضوا لشأنهم

فقال بليك : الحمد لله على ذلك . لقد كنت أعلم ان الكونت دي كوند رجل شريف
فقال دك : وقد كان جميعهم كذلك لان الدم الاسباني يجري في عروقهم . على اني لم أرد أن أترك شيئاً لحكم الاتفاق وكنت اعتقد انهم سيتبعوني الى طليطلة ويختطفوني اذا استطاعوا ويضعوني في باخرة تعود بي الى انجلترا . ويظهر لي مما اخبرتني الآن انني كنت مصيباً في رأيي هذا . ولذلك لم أبرح منزل الدون اميجو في تلك الليلة . وفي اليوم التالي استأجرت سيارة وأنا أعلم بانك اذا تلقيت كتابي فستلحق بي الى مليلة . وقد أسفت بعدئذ لكتابتي ذلك الكتاب لانه أثار ما لا داعي اليه

فقال بليك : ان وزارة الخارجية تخشى أن تكون السبب في استرخاء العلاقات الودية بين انجلترا واسبانيا

فقال دك : الى حيث . . . انني لست أعلم عملاً مضر على الاطلاق فقد جئت الى هنا من قبل جريدة اليونيفرس لا كتب بعض المقالات وأرسم بعض الصور . وجميع المقالات التي قد بعثت بها حتى الآن كانت مكتوبة بروح الحياد

فقال بليك : قد يكون ذلك صحيحاً . ولكن لا يجوز ان تكون هنا في ضيافة قائد الثوار المغاربة الذين يحاولون ان ينتزعوا من أسبانيا مستعمراتها الافريقية . فيجب ان تعود معنا بأسرع ما يمكن

فقال دويل : هذا هو الصواب يا دك . قبليك وأنا تحت أوامر وزارة الخارجية كما تعلم
 فعليك ان تحزم أمتعتك وتودع صاحبك عبد الكريم
 فصاح دك قائلا : وهل تظنان أنني أفعل ذلك ؟ انني باق هنا اسبوعين آخرين او أكثر
 فعودا الى لندن وأخبرا السر ترانت بذلك وابلغاه شدة احترامى له ولكن قولاً له انه ليس
 بيدي وبينه أية علاقة وما دمت ...
 فقاطعه تشكر قائلا : يا للعجب ...

واذا فتاة نحيفة الجسم جميلة الصورة قد وقفت بالباب وبيدها حمل مربوط به شبل أسد
 وفهد وهما مقيدان بسلسلة من الذهب . وكانت الفتاة في نحو الثالثة عشرة ذات جمال ساحر
 وبشرة سمراء وعينين سوداوين وشعر مسترسل وعليها وشاح من حرير بنفسجى اللون واصل
 الى خصرها . وفوق صدرها « كرافاتة » وردية اللون
 والتفتت الفتاة الى دك وسألته بالاسبانية بصوت عذب شجي : اهؤلاء هم أصحابك
 الانجليز يا دك ؟

فقال : نعم فان السنيور دويل ذهب الى نمباد وجاء بهم الى هنا
 فابتسمت الفتاة ولمعت أسنانها اللؤلؤية وقالت وهي تنفرس في بليك وتشكر : ما أغرب
 منظر هذين الرجلين ! لماذا لا يلبسان الثياب الاوربية وما هي هذه البقع السمراء التي على
 وجهيهما وهل تأذن لي في مخاطبتهما ؟

فقال دك : دعيهما الآن يا توريده فاننا مشغولون بالبحث في شؤون خاصة
 فقالت الفتاة : وهل تسمحون لي أن أجلس وأصغي لحديثكم ؟
 فقاب دك : كلا يا بنتي فاذهي الآن
 فترددت الفتاة وعبست ثم رشقت دك بنظرة من عينيها الدعجاوين وذهبت تقود
 الشبل والفهد

فعبس تشكر وقال : يا لها من فتاة وقحة
 فضحك دويل وقال : ماذا جرى لك يا غلام ؟ ان البقع السمراء التي على وجهك ...
 فقاطعه بليك قائلا : حقاً انها فتاة جميلة ولكن يظهر انها خطيرة
 فاجابه دك بلهجة عدم الاكتراث : لا شيء من الخطر في توريده مطلقا والامير عبد الكريم
 معمرم بها جداً

فقال بليك : وهل تعلم أنك خطيب الفتاة الاسبانية ابنة الدون أميجو ؟

فاجاب : كلا

فقال بليك : لو كنت في مكانك ...

فقاطعه دك قائلا : ما أكثر ثرثرتك . كفى . كفى

ثم أخرج من جيبه رزمة من ورق اللعب وقال : تعال الآن لنلعب باللعب قليلا

الفصل الحادى عشر

اليوم الثانى — دك والس لا يزال مصرّاً — الغداء مع عبد الكريم — ناقلو

الاخبار السيئة — الاسير الاسباني — فرار الشيخ — بليك والكاتبين

هرمانوس — الحديث مع دك والس — التصميم الجريء

سرّ بليك وتنكر في صباح اليوم التالى اذ أعطيا نيايا نظيفة من الحرير وتمكنا من غسل وجههما من الصباغ الاسمر . وعند وقت الافطار عاد بليك ودويل ففأخذا دك بحديث الامس . ولكن مساعيهما ذهبت أدراج الرياح فلم يفلحا باقناعه بالسفر معهما اذ لبث مصرّاً على البقاء خمسة عشر يوماً على الاقل في معقل الامير عبد الكريم . ولم تكن ثمة قوة في العالم تستطيع أن ترحضه عن عزمه

فقال بليك : اننا لا نستطيع ان نكرهك على السفر ولكن ربما اذا أردت أنت من تلقاه

نفسك تعذر عليك

فقال دك : وماذا تفنى ؟

فسكت بليك ولم يجب بشيء

ولكن دويل أجابه قائلا : أبحث عن المرأة يا دك

فرد عليه ردّاً قاسياً ثم سكت الجميع . وبعد قليل دعوا لمقابلة عبد الكريم فوجدوه رجلاً

متوسط السن ذكياً هادئاً ذا شاربين خفيفين ولحية صغيرة

فخيا بليك والغلام تنكر تحية حسنة ورحب بهما وسأل دويل عن سفره الى تمباد . وبعد

ذلك دعا الاربعة جميعاً للغداء معه في غرفة فاخرة فيها ينبوع من الماء

وقبل الجلوس الى المائدة غسلوا أيديهم في آنية نحاسية فيها ماء معطر بالياسمين . ثم أكلوا لحم الخروف مشويا وحاماً محشواً وشربوا الشمبانيا بآنية من الفضة وقهوة معطرة بالغنبر ودخنوا السجائر المعطرة بالورد

وكان الأمير يتكلم والجميع يصغون الى حديثه . ولم يشر الى الحرب بكلمة بل كان مدار كلامه جمال الطبيعة وعجائب باريس التي زارها مرتين . ولما هم ضيوفه بالانصراف أعرب لهم عن شدة سروره بزيارتهم وارتياحه الى بقائهم عنده ماشاءوا على الرحب والسعة . ثم ودعهم قائلاً : انني أشعر بميل اليكم لأنكم انجليز ولو لم تكونوا كذلك لكان الامر على خلاف ذلك لانني لأحب من الاجانب سواكم

فلم يرتح بملك الى هذه المجاملة بل قال لك والس بعد أن خرجوا : ان الصداقة اذا تجاوزت الحد أضرت . والامثلة على ذلك كثيرة فقال لك : اذا كنت تعني أن الشيخ يحجزنا عنده على الرغم منا فأنت مخطئ في زعمك اذا أي نفع له من ذلك ؟ ولماذا يحجزنا عنده ؟

فقال بليك : لاننا نعرف عنه مالا يعرفه أعداؤه وعلى الاقل نعرف طريق معقله الخفي . فليس من مصلحته اذن أن يطلق سراحنا

فقال لك : ولسكنه يثق بنائقة عمياء ويعلم أننا لن نخونه بالانحياز الى الاسبان فقال بليك : ربما كان الامر كذلك ولكن كثيراً ما يخفي الحمل الناعم مخالبا من الفولاذ . وبقدر ماتطول اقامتنا بمعقله يصعب خروجنا منه

فقاطعه لك قائلاً : اذا كان قصدك أن تستعجلني بالسفر فاعلم أن مهوتي لم تنته بعد

فقال بليك : حسن ولكن تذكر أنني حذرتك وقد أعذر من أنذر

ومرت الايام وضيوف الأمير يتمتعون بالحرية التامة وينفقون وقتهم كما يشاؤون فكانوا يقضون الصباح في غرفهم الجميلة حيث يكتب لك مقالاته لجريدة « اليونيفرس » ويجلس الآخرون فيدخنون ويتحدثون . وكان لك يذهب في عصر كل يوم ومعه آلة التصوير ليرسم ما يروق له من المناظر وكانت توريد ترافقه دائماً . أما بليك ودويل وتسكر فكانوا يذهبون الى الوادي ومعهم بنادق اعارهم اياها الامير عبد الكريم فيصطادون الحجل والحمام

ولم يكونوا مرتاحين الى استئثار روابط الالفة بينك والفتاة المغربية اذ كانوا يخشون أن تكون سببا في منعك من العودة معهم وذلك لما كان لها من الدالة على عبد الكريم . ام

تشكر فكان يظهر أنه يغار على الفتاة من ذلك وكان ذلك يسر بليك حتى أنه قال له ذات يوم :
لماذا لا تحاول أن تنتزعها من ذلك ؟

ولكن تشكر غضب وقال : لاشأن لي بها

فقال بليك : كنت أحسبك كلفاً بها

فقال تشكر : أخطأت ياسيدي فإن لون بشرتها اشد سواداً مما يطلبه ذوقي

وبعد أن مضى الشطر الأكبر من الأسبوع وقع حادث آت إلى ارتباك عظيم وإلى أمور
لم تكن تخطر ببال بليك

وخلاصتها أن بليك ودويل عادا ذات يوم متأخرين من الصيد . ولم يكن تشكر قد ذهب
معها يومئذ . فعلم أنه في أثناء غيابهما حضر بعض الغرباء الذين كانت علامات السفر الشاق
تبدو على وجوههم . وبعد أن تناولوا الغداء جلسوا في حوش الدار لكي يستريحوا قليلاً .
وكانوا مدججين بالأسلحة ومراهم يدل على الشراسة وقد جلس ذلك أمامهم يصورهم بقلم
الرصاص وعلى مقربة منه تشكر وتوريد يرقبانه . وكان ذلك يصورهم وهو يكلم بليك ودويل قائلاً :
هؤلاء الرجال هم من الشمال وقد حضر وامن خطوط القتال بالقرب من تافارين منذ ساعات . وقد
كنت أنا والفتاة نرسم بعض الصور فحاضونا بأخبار سيئة مؤداها أنه وقعت معركة كبيرة بين
الريفين وأعدائهم . ومع أن الريفين تمكنوا من المحافظة على مواقعهم فقد قتل منهم عدد ليس
باليسير وجرح ابن اخت الأمير واسمه رأس خلفاً جروحاً عديدة . ولما كان الأمير عبد الكريم يحبه
كثيراً فقد أحزنه الخبر جداً وأصبح هائجاً شديد الغضب . وليس ذلك كل ما بلغنا من
أنباء السوء فإن ...

وتوقف هنيئة عن الكلام كأنه يستجمع أفكاره ثم قال :

لعلكم تذكرن الضابط الإسباني الذي نجا من حادثة الطائرة ؟

فقال بليك : نعم فما شأنه ؟

قال : لقد أسر والظاهر أنه ضل الطريق ثم وصل إلى إحدى القرى وهو منهوك القوى .

فأسره أهل القرية وبعد أن لبث عندهم بضعة أيام جاء به بعضهم إلى هنا وقد وصل منذ نحو

نصف ساعة وهو الآن عند الأمير عبد الكريم

فقال بليك وقد أسف لما جرى : وماذا تظن أن الأمير يفعل به ؟

فقال دك : لاجواب عن هذا السؤال يا بليك والارجح انه سيأمر بقتله رمياً بالرصاص

فقال بليك : وهل الامير قاس إلى هذا الحد ؟

فقال دك : نعم هو قاس جداً في ساعة غضبه ومن سوء حظ هذا الضابط انه وقع في الاسر

في الوقت الذي تلقى الامير فيه الاخبار السيئة

وكان دك والس لا يزال منهمكا بتصوير الرجال فترك بليك دويل وتنكر معه ودخل المنزل

ولما وصل إلى القاعة الكبرى أبصر الضابط الاسباني وقد اخرج من حضرة الامير وهو

جالس على مقعد

فدنا منه بليك وكلمه بالاسبانية التي لم يكن رجال القبائل يعرفونها وقال له : لقد ساء لي

جداً ما سمعته عما أصابك

فرفع الضابط وجهه الشاحب وتفرد هنيهة في بليك ثم قال وهو مذهول :

أهذا انت ياسنيور ؟ الست الرجل الانجليزي الذي ابلغتك أوامر الحاكم العام في فندق

اسبانيول بمليلة ؟ كيف انيخ لك ان تكون في ضيافة الامير ؟

فقال بليك : نعم انا ضيفه . واني ولئن كنت قد هربت من مليلة وسافرت الى بلاد الريف

فلا تعدني عدواً لك

فقال الضابط : كلا ياسيدي لست احسبك عدواً لي بل بالعكس أنا مدين لك بمحياتي فاني

حينما تسلمت الجبل بعد حادثة الطائرة رأيت احد المغاربة يهزم باطلاق النار على وائت الذي

منعته من ذلك فأشكرك شكراً جزيلاً

فقال بليك : ذلك عمل صغير لا يستحق الشكر يا حضرة الضابط فقد شعرت دقيقتئذ ان

لك حقاً في الحياة . فدع عنك ذلك ولنتحدث في أمور اخرى مادامت الفرصة سانحة . لقد

بلغني انك قابلت الامير عبد الكريم فماذا قال لك ؟

فهز الضابط منكبيه وقال : كان متهيجاً جداً فلم تبد منه اقل علامة على الرفق او الرحمة

فقال بليك : وهل حكم عليك بالموت ؟

فاجاب : كلا ولكني اظن انه سيفعل ذلك فقد بلغه ان ابن اخته رأس حلفا الذي كان

يقود بعض القبائل الريفية بالقرب من تافارين قد أصيب بجروح بليغة وافهمني انه إذا مات

فسيامر بقتلي بالرصاص

فسأله بليك : وهل تعرف كيف حالة رأس حلفا وهل هو في خطر ؟

فأجاب الضابط : نعم هو في خطر وقد فهمت من الأمير عبد الكريم أنه مجروح في رأسه
وصدده بشظايا قنبلة . انني لست جباناً ياسيدي فاني جندي والجندي يجب أن يتوقع الموت
في كل ساعة . ولكن لي أسيرة في أسبانيا مؤلفة من زوجة وولدين يعيشون في مدريد وهم أعز
الناس الي في هذه الحياة ومن أجلهم فقط أحب الحياة ...

ثم غصّ من شدة الانفعال وجالت الدموع في عينيه . ولما هدأ روعه قليلا مسح دمه
بمنديله ثم سأل بليك قائلا : هل لك كلمة مسموعة عند الأمير ؟

فهرز بليك رأسه وقال : لأظنه يصغي لسكلامي اذا طلبت منه العفو عنك
فقال الضابط : فلعلك اذن تستطيع أن تساعدني على الفرار اذا حكموا علي بالموت
فقال بليك : اذا وجدت سبيلا الى ذلك فلن أتاخر عن مساعدتك . ولكني لا أظن
في فرائك نجاة لك فانك لن تسير مسافة قصيرة حتى تؤسر ثانية

فقال الضابط : لا أظن انني أوسر ثانية اذا سمحت لي الفرصة للفرار فاني أعرف هذه
البلاد جيداً

فقال بليك : ولكن اذا فررت فلن تستطيع أن تذهب ماشيا . والطريق التي تؤدي الى
الوادي والنهر ملأى بمجنود عبد الكريم

فقال الضابط : أستطيع أن اتجنبهم بكل سهولة فانزل زحفاً الى الوادي وأعبر الجدول
سباحة وفي أقل من يوم أصبح بأمن من الأخطار وربما رأيتي احدى الطيارات فالتقطتني .
وعلى كل حال أرجو منك ياسيدي أن لا تنسى و ...

وانقطع عن الحديث فجأة اذ خرج رجالان من الحرس من غرفة الامير الخاصة فلما أبصرا
بليك عبسا ثم التفتا الى رجال القبائل فاعطياهم نقوداً وأمرام بالانصراف . وما كاد هؤلاء
ينصرفون حتى أمسكا بالضابط الاسباني وانطلقا به

وكان الظلام قد أخذ يسدل ستاره والخدام يتيرون القناديل في المنزل . فذهب بليك
الى غرفته وجلس هنالك الى أن أتى رفاقه فاخبرهم بما قال له الضابط الاسباني

فتباحثوا في الامر ملياً فاستقر رأيهم على أن لا يجمعوا عما هو واجب عليهم فانهم وان
كانوا من شعب على الحياد وهم ضيوف عبد الكريم فاذا حكم على الضابط الاسباني بالموت
فيجب أن يسعوا لاتخاذ حياته بكل الوسائل الممكنة

فقال دويل : نعم يجب ان نفعل ذلك كيفما كان الامر

فأجاب بليك : مهلاً . يجب أن لا تخاطر بشيء إذا قدرنا . انك يادك صديق الامير
عبدالكريم فلمله يقبل شفاعتك في الضابط
فقال دك : أنه لا يقبلها أبداً . فأنبدوا هذا الرأي جانباً لانني اذا كلمته هاج وماج فانه
يحقد على الأسبان حقداً عظيماً ويكرههم كرها شديداً . لذلك لا أجرؤ أن أفاتحه في هذا الشأن
فقال بليك : اذن لنترك عبدالكريم ولنحاول أن نخلص الضابط بأنفسنا اذا لزم ذلك
ولكن يجب أن نخلصه بطريق لا تثير بنا الشبهات
فقال دك : أظن أننا لسنتطيع أن ندبر ذلك اذ لن يكون على الضابط حراس كثيرون .
وأظن أنهم قد حبسوه في إحدى الحجرات التي في مؤخرة المنزل ولا أظنه مقيداً بالسلاسل وقد
رأيت هذه الحجر ولكل منها كوة صغيرة في سقفها . ولست أظن الضابط في خطر الان فاذا
وقع الخطر فسنساعده على الفرار من دون أن يشعر بنا أحد
فقال دويل : نعم يجب أن نفعل ذلك ثم نزايل هذا المكان حالا
فقال بليك : وأنا أيضا أوافق على هذا الرأي ولكن هل يدعنا الامير نرحل ؟
فقال دك : لا تملقوا فان الامير لن يمنعنا من السفر ولكن توريدته مستساء جداً لانها
لا تريد أن نساقر
فقال بليك : أنا أعلم أنها لا تريد ولكن يجب أن نخبرها بأنك قد خطبت فتاة أسبانية
وستزوجها
فقال دك : لم أخبرها بهذا الامر حتى الآن ولا أعلم كيف تتلقى هذا الخبر .
فقال بليك : اذن أنت أجمل انسان عرفته . وأرى أنك سوف توقعنا في مأزق حرج

الفصل الثاني عشر

القلق - الشبح في الليل - موت رأس حلفاء - دك والس يأتي بأخبار - الضابط
الاسباني - السعي لتخليصه - نجاته - مطار دته - ضيوف الامير يستعدون
للسفر - في بستان النخيل - والس والفتاة - منظر تمثيلي

في مساء ذلك اليوم سافر رجال القبائل الى بلادهم وفي فجر اليوم التالي ركب الرجال الستة
الذين أتوا بالأخبار السيئة متجهين الى الشمال

وكان قصر عبد الكريم طول ذلك النهار هادئاً . ولزم الأمير غرفته ولم يخرج ضيوفه من المنزل خوفاً من أن يقع في أثناء غيابهم ما يحشونه
ولبثوا ينظرون وصول الأنباء من ساحة القتال . وهي الأنباء التي يتعلق عليها حظ الضابط هرامبوس فاما الموت وإما الحياة .

وظل أصحابنا يذخنون وهم صامتون وكانت نوريده تروح وتجيء وهي تقود شيل الاسد والفهد وتقف بين آن وآن لتخاطب ذلك بصوتها الشجي وبين شفقتها سجارة ذات رائحة شديدة وانقضى النهار وأقبل الظلام . وبعد المغرب بساعتين سمع القوم صوتاً آنياً من جهة الوادي فانصبروا وإذا هو وقع حوافر جواد كان يدنو شيئاً فشيئاً ثم انجلى الصوت عن فارس قادم على جناح السرعة فهرع بضعة من رجال الحرس لمقابلته . وما هي الا هنيئة حتى قدم الفارس ومر أمام بليك وأصحابه وكان ممتطياً حواداً أشهب ومثبجاً ببرنس أبيض . وحقق دويل اليه فقرأ في وجهه أخباراً سيئة وقال لأصحابه : لاشك ان ابن أخت عبد الكريم قد مات . فأمن الجميع على كلامه . وحدث اذ ذاك هرج عظيم . ودخل القادم غرفة الامير وبعد أن لبث في حضرة به بضع دقائق خرج وهو عابس مقطب الجبين ثم سار الى فناء القصر ليتعشى ويتقضي ليلته . وبعد قليل هدأت الضجة فنهض ذلك واتجه الى مقر الخدم . وكان على أتم الولاء معهم . ليستطلع جلية الخبر . وبعد ربع ساعة عاد الى أصحابه وقد امتقع وجهه وقال لهم : لقد مات رأس حلفاء من جراحه فأنار موته غضب عبد الكريم فأصدر الأمر بقتل الضابط الاسباني عند طلوع الفجر

فصاح دويل : يا للصدية ! اني سأبذل حياتي في سبيل انقاذه . فسأذهب تواء الى الامير ... فقاطعه بليك قائلاً : لن تفعل ذلك أبداً فانك تحيي عليك وعلينا وعلى الضابط الاسباني . والأفضل أن ننظر في طريقة أخرى لانقاذ ذلك المسكين مع انني لا أعلم حتى مقره في هذه الدقيقة فقال ذلك : أنا أعرف مقره فهو في إحدى الحجرات التي في مؤخرة هذا المنزل وقد تسللت الى هنا لك في جنح الظلام فأبصرته جالساً في حجرته موثق اليدين ولكني لم أكلمه بكلمة خيفة أن يسمعي أحد . ومن حسن الحظ انه لم يرني . وعلى كل فني امكاننا أن نساعد على الفرار فقال بليك : هل تقصد اننا نستطيع أن نساعد على الفرار من طريق النافذة ؟

قال : نعم

(ستأتي البقية)